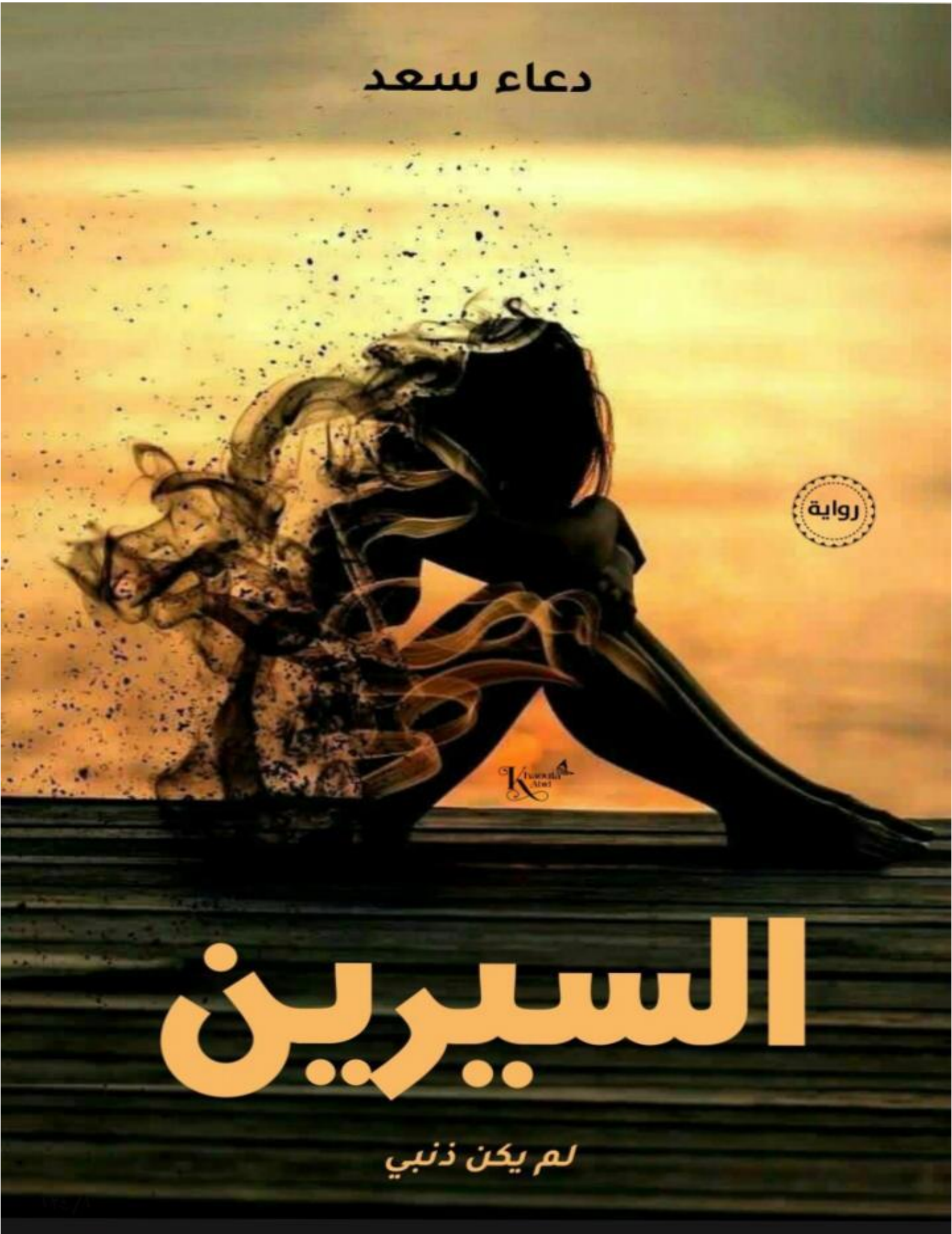
دعاء سعد
رواية
السيرين
لم يكن ذنبي

رواية

السرين (لم يكن ذنبي)

معلومات الكتاب:

تنسيق الرواية سابقًا: خولة أعبيد.

تنسيق الرواية حاليًا: دعاء سعد.

كاتب الرواية: دعاء سعد.

تدقيق: دعاء سعد.

تصميم الغلاف: خولة أعبيد.

تصنيف الرواية: اجتماعي، دراما.

السرد والحوار: فصحى.

سنة النشر: 2024

مكان النشر: مكتبة كتوباتي الالكترونية – فولة بوك.

حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

إهداء

إلى

كل الذين يحاولون تحقيق أحلامهم، لا تيأسوا تابعوا بإصرار.

أهديكم هذه الرواية التي لا أعرف إن كان يسمع عنها أحد أم لا.

مستوحاة من أحداث حقيقة سأرافقها في آخر صفحة من الرواية.

لا ينصح بقراءتها لأصحاب القلوب الضعيفة.

لقد حذرتك يا عزيزي فلا تلوم إلا ذاتك.

" ستنتهي الحرب، ويتصافح القادة، وتبقى تلك العجوز تنتظر ولدها الشهيد، وتلك الفتاة تنتظر زوجها الحبيب، لا أعلم من باع الوطن لكنني رأيت من دفع الثمن"

- محمود درويش

مقدمة

ماذا تظن لا يوجد هناك مقدمة من الأساس. هذه الرواية ليست مفيدة. مليئة بالترهات. كاتبها كاتب مختل عقليًا. ما زلت مصممًا على القراءة، المقدمات لا يقرأها أحد. لا وجود للمقدمات في الروايات. يكتب الكاتب أي ترهات لتجلب أنتباهك، انظر لن أفعل ذلك لا أعرف كتبتها ولن أرهق نفسي.

الفصل الأول
"البداية"

يمكن أن تحترق النجوم وتفني العوالم، ولكن مهما حاولت لن تستطيع تغيير عادة أو تقليد خاص ببلد ما. وعلى ذكر العادات والتقاليد، هل سمعت يومًا بجزر سليمان؟

في هذه الجزر لا يقطعون الأشجار ولا يبذلون جهد، هم فقط يلعنون ويسبون أية شجرة يريدون قطعها وبعد عدة أيام، تسقط الشجرة من تلقاء نفسها. عادة غريبة أليس كذلك؟ لا أستغرب كثيرًا، فالأشجار أيضًا تملك روحًا مثلنا، كائن حي يقوم بعملية البناء الضوئي، الفرق الوحيد أنها تتنفس ثاني أكسيد الكربون، وتلفظ الأكسجين الذي نستنشقه.

ربما ترابطنا علاقة وثيقة بالأشجار ربما كانوا بشر مثلنا وتم لعنهم، تؤثر فيهم الكلمات كما تؤثر فينا، لابد من وجود علاقة.

لا تهتم بكلامي أنه هرطقة فارغة، أثرثر كثيرًا وبدون جدوى.

عندما كانت هناك أحلام تريد تحقيق ذاتها.

عندما كان هناك شرطي يهيمّ عشقًا بإحداهن.

عندما كانت إحداهن تحارب العادات والتقاليد والمجتمع والقبيلة.

عندما كان هناك شابًا لم يتلوث بعد، عندما كان يحارب ذاته.

عندما كانت هناك فتاة تحاول حماية الجميع.

عندما كان هناك شابًا يثق ثقة عمياء.

عندما كان القانون بصف الجاني وربما ما زال كذلك.

الوقت الذي حدثت فيه هذه الأحداث، لا أعلم متى، كانت تحدث من قبل وعلى مر العصور ومازالت تحدث ومستمرة، بل في ازدياد.

في البداية أذا نظرت في هذه الصالة الرياضية للعب كرة السلة.

ستجد شابان يلعبان معًا، وأحدهم يستحوذ على الكرة ويسجل الأهداف.

والآخر يحاول جاهدًا أن يسجل ولكنه يفسد التمريرات. يقوم الشاب الآخر بأخذها منه ومن ثم يقوم بالتسجيل ويحقق الفوز المحتم. وفي وسط فرحة وانتصار يأخذ الشاب الأول الكرة ويقوم بالتسديد. وبهذا يحقق التعادل بعد معاناة شاقة.

يقول الشاب الأول ذو الشعر الأسود، وهو يلهث من شدة الاجهاد:

-لقد انتصرت وهزمتك هذه المرة.

يرد عليه الشاب الآخر ذو الشعر البني:

-لا لم تفز، أنا الذي فزت. أنت فقط استغليت فرحتي بالأنتصار وقمت بتسجيل التعادل يا لك من مخادع أبله.

يجيب ذا الشعر الأسود بجدية:

-لا لقد فزت، وأنت خسرت، انتهى.

يرد غاضباً الشاب ذا الشعر البني:

-مخادع وغشاش.

ذا الشعر الأسود ضاحكًا:

-لا بأس ولكني فزت بالرغم من ذلك.

إذا دققنا في النظر. واقتربنا قليلًا منهم سنجد أن الشاب ذو الشعر الأسود يرتدي بنطالًا رياضيًا و قميص رياضي ضيق. بينما الشاب الآخر يرتدي بنطالًا واسعًا جدًا لا يبرز أي تفصيل، وقميصًا واسعًا أيضًا.

عندما همّا بالمغادرة، وذهبا إلى حارس الصالة لكي يسجلا أسمائهما وأنهما سيغادران.

يتولى الفتي ذا الشعر الأسود كتابة الأسماء، فيعنفه الشاب الآخر قائلًا:

- أهكذا تكتب اسمي أيها الجاهل؟

رد الشاب ذا الشعر الأسود:

- وماذا كتبت؟ أنه يكتب هكذا، سرين!

رد الآخر:

- أيها الجاهل يكتب هكذا "سيرين" كم مرة قُلت لك، لا تكتب اسمي بشكل خاطئ مرة أخرى.

أجاب ذا الشعر الأسود ضاحكًا :

-ليس مهمًا جدًا، ماذا أفعل لك يا حمقاء، اسمك ينطق هكذا "سرين" ويكتب هكذا "سيرين"، هل أنا مدرس لغة عربية؟

وهنا نرى الصدمة لم تكن فتى، كانت فتاة ولكنها لا تشبه الفتيات في شيءٍ. ترتدي ملابس الأولاد وتقص شعرها كذلك. لا تضع مستحضرات التجميل حتى، ليست جميلة جدًا، ولكنها عادية فقط عادية.

أجابت على أسئلته:

-لا لست مدرسًا، فأنت فاشل كبير، ماذا فعلت سوى أنك التحقت بكلية الشرطة؟ أيها الفاشل.

رد غاضبًا:

-وأنتِ ماذا فعلتِ؟

ردتَ بنفس نبرة الغضب:

-أنا سأصبح طبيبة مشهورة، وربما سأعالجك بالمجان ولكني لا أعالج الحيوانات مع الأسف.

رد بهدوءٍ:

-وكيف للحيوان أن يعالج البشر، إذا كنتِ تريدين أن تصبحي طبيبة يجب أن تجتهدي أولاً، فتاة غبية لا تعرف سوى التعديل على الآخرين.

ردت بهدوءٍ:

-حسنًا. يا ابن الخالة، سنرى من سيضحك أخيرًا، أيها الفاشل.

قاطعهم حارس الصالة:

-توقفوا عن الشجار، في كل مرة تأكلون دماغي بشجاركم، وكلامكم التافه.

رد عليه ذا الشعر الأسود:

-أعتذر يا عم أيوب، لا تؤاخذنا، سوف نذهب.

ونظر إلى الفتاة:

-أ يعجبك هذا، لقد تم إهانتنا من عم أيوب؟

ردت ببرودٍ:

-وهل هذا جديداً علينا، في كل مرة يفعل هذا.

رد بلامبالاة:

-حسنًا. هيا بنا سأوصلك للمنزل.

ردت بتعجبٍ:

-أستطيع أن أذهب وحدي، لقد نضجت.

بدت عليه علامات الغيظ ولكنه حاول إخفاءها:

-حسنًا. كما تريدين فقط أنتبهِ لنفسك.

ردت بتباهي:

-لا تقلق لقد قمت بهزيمتك، فلا تخشي عليّ، أنا فتاة قوية أو أنا فتى قوي.

ضحك قائلًا:

-حسنًا. أيها القوي وداعًا.

وذهب كل واحد منهم في طريقه. الفتاة استقلت دراجتها النارية، أجل تقود دراجة ماذا هل هذا أمر غريب عليكم. أنه يحدث أليس كذلك؟

والفتى ذهب ليستقل السيارة الخاصة به ليست سيارة حديثة، أنها سيارة قديمة من نوع "فيات 127" تلك السيارات التي تتوقف كل ست ساعات ولا تستطيع السفر بها لمسافات طويلة.

يقولون عنها خردةً وباليةً، ولكنه يقول:

- كل القديم أصيل ومعدنه لا يتغير.

بالطبع تلك الكذبة التي يكذبها على نفسه ويصدقها. أخبركم بصدق لو وجد سيارة أخرى للعن هذه السيارة وقام ببيعيها خردة، وربما لأقام بتقطيعها أرباً أربًا. سيارة قديمة هالكة لعينة، تتعطل أكثر مما تسير. ولكن لا بأس لقد أعتاد الأمر. وأعتاد عليها. الاعتياد يجعلك تحب هذا الشيء. لا، أكذب الاعتياد يجعلك تتأقلم وحسب، ليس إلا.

الفصل الثاني
"مشاكسة"

ذا الشعر الأسود يسير خلفها بسيارته الهالكة، ليتأكد وحسب أنها وصلت بأمان. وهي كالحمقاء لا تراقب الطريق جيداً وتسير بلا هوادة. هل يحبها؟ لا يدري، ولكنه يخاف عليها حتى من نفسه. إذا كان السير خلفها ومراقبتها والتأكد أنها بخير! أو أن يهزم في كرة السلة فقط، ليرى ابتسامتها.

دعنا من تضخيم الأمور، هل غيابها مرَّ؟ أم أنها مثل حبات السكر؟

تعَّد قهوة سيئة ومع ذلك يتناولها بكل حب. والجميع يعلم أنها تعَّد أسوأ قهوة في العالم، ومع ذلك فهو لا يعلم إن كان يحبها أم لا؟ ولكن هل خفقان قلبه عندما تكون بجواره، هل هذا شيئًا طبيعيًا؟

الآن هو يراقبها من بعيد من خلف الشجرة الضخمة القابعة أمام منزلها، تطفئ محرك دراجتها النارية، وتصعد درجات السلم لتصل إلى الشقة التي تسكن بها مع والدتها وشقيقها.

وضع يده على قلبه وقال بهمسٍ مسموعٍ وهو يبتسم:

يا حظ تلك الدرجات التي تصعدين عليها، ليتني سلمة، لا أعرف ما يصيبني حقاً، فعندما انظر إليها يتبدد كل خوف وكل خوف يصير موحشاً أكثر.

بعد أنَّ تأكد من أنها وصلت وبأمان، عاد أدراجه بالسيارة المتهالكة تلك الخردة اللعينة.

أمام عتبة الشقة وعلى الباب، تقوم بالطرق عدة طرقات. تصرخ بعد أن سئمت من الطرق:

-أمي أرجوك، افتحي ليّ الباب من فضلك، أعلم أنك بالداخل وبجوار الباب أيضاً.

يرد من الداخل صوتًا رجوليًا بمشاغبةٍ:

-لا نريد حليبًا اليوم فلتغادر.

تطرق على الباب بكل قوتها:

- أيها الوغد، أفتح الباب، لا تمزح معي هذا المزاح الثقيل مجددًا. وإن لم تفتح سأقوم بكسر الباب على رأسك.

الطرف القابع خلف الباب بكل هدوء واستفزاز:

-حسنًا. فلتفعلي ما في وسعك إن استطعت.

تحولت لشرارة من النار وصرخت:

-أيها الخنزير اللعين ...

وقبل أن تكمل أتى صوتًا حنونًا من الداخل:

-لا تغضب أختك مجددًا، لا أعرف كيف تقوم باستفزازها كهذا؟

تفتح الباب وفي يدها مغرفة للطعام و "فوطة "المطبخ على كتفها:

- أين كنت لقد تأخر الوقت، ألا تعلمين كم الساعة الآن؟ أو هل تعلمين بما يفكر بنا الناس وأنتِ تعودين متأخرة كل ليلة؟

ردت بكل هدوء:

-ما أعلمه هو إنيّ أنجزت محاضراتي وعملي، وخرجت قليلًا مع ابن خالتي. أنا لا أفعل شيئًا سيئًا. فالنهاية أنا طبيبة وقد كان هذا حلم أبي، و ها أنا أحققه.

تدخل ممازحًا:

-طبيبة إن عالجت بشريًا سيموت عندما يراها.

ردت بهدوء بالرغم من الغيظ الشديد:

-حسنًا. سنرى يا مهندسنا المستقبلي، إن كان ما تصممه أو تقوم ببنائه لن يهدم فوق رأسك.

قاطعتهم الأم بانفعالٍ:

-حسنًا. توقفوا عن الشجَّار، اذهبي لتبديل ثيابك ولتسرعي لنتناول الطعام، وأبوك هذا ...

قاطعتها بحزنٍ شديدٍ، تلك هي القشة التي قسمت ظهر البعير:

- لا يهم يا أمي نحن بخير.

وأخي معنا ويهتم بنا، لقد نضج في سن مبكرة من أجلنا وعمل أيضاً ليوفر لنا حياة كريمة.

قاطعهم ممازحًا، وقام بإمساكها من ملابسها ونظر متعجبًا:

-هذا القميص الذي ترتدينه هو ليّ، أعطني القميص والآن يا لصة.

نظرت له باستعطافٍ:

-أخي أرجوك، لقد أعجبني جدًا، وأنت تعلم أني أحب اللون الأسود، يمكنني أن أهديك غيره إن أردت بالطبع.

عقد حاجبيه وقال:

-أنتِ كاذبة كبيرة وحتى لو أردت لا تعطيني أي شيء بالمقابل، حسنًا. لا بأس ولكن أمي تحضر لك ثيابًا تليق بالفتيات لِمَ لا تكونين فتاة عادية وحسب.

نظرت متعجبة له:

-لا أبدًا لن أكون مثل الفتيات الحمقاوات، لا لم تحز.

يعَّدون المائدة ويجلس كل شخص في مكانه المخصص، يتناولون ما تعَّده أمهم في صمت. أكلَّ الأمهات وإن كان به فلفل أسود وملح فقط فهو من ألذ الأطعمة في العالم. الأمهات لهم سجَّية خاصة وسحراً فقط هم منَّ يجدون استعماله. عندما تعَّد الأم الطعام حتى وإن كان بعض البطاطس المقلية. يصبح شهي جدًا، كما لو أنَ هناك ديك روميًا وليس حفنة من البطاطس المقلية في الزيت وعليها بعضًا من الملح والفلفل الأسود فقط.

بالمناسبة هي تحب أخاها كثيرًا وتحترمه جدًا. هم فقط يمزحون مع بعضهم كثيرًا. هو أكبر منها بعامان فقط، ومع ذلك تحمل الكثير من المعاناة في صغره. حتى هي كانت تعمل وما زالت تعمل بجانب دراستها. الحياة أحيانًا تجبرنا على اتخاذ طريق لا نريده، وتضع في طريقنا العراقيل والعقبات، ولكن أحيانًا لا نتحمل كل هذا، لا نحتمل كل هذه المعاناة. في النهاية نحن بشر، فكيف يمكن لبشرٍ من طين أن يتحمل كل تلك الانهيارات من الأمطار والعواصف والحياة. الجبل لا يصمد أمام كل هذا، ولكننا نقاوم.

هل تغيرنا الحياة؟ بالطبع تفعل. الجبال تتعرض للنحت والتعرية من الخارج ونحن نتعرض للنحت والتعرية من الداخل. وقليلًا من يلاحظ الفرق بينهما ولكنهم نفس الشيء.

الفصل الثالث
"أهرب إليك"

ذات يوم وفي نهار ما، ذهب لرؤيتها ذا الشعر الأسود في كليتها.

اندهشت كلّياً، لم تتوقع مجيئه:

- آدم. ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل هربت من عملك؟

أجاب بهدوء تام:

-لم أهرب أردت رؤيتك فحسب.

عقَّدت حاجبيها:

-حسنًا. ولِمَ ذلك؟

قام بتطويقها حول ذراعيهِ:

-كنت أخبرك فحسب، أنه لن تجدي أحدًا يتزوجك لهذا سأتطوع أنا وسأكسب ثوابًا بك.

نظرت له بقرف:

- لا لن أتزوجك أبدًا، سأتزوج منّ هو أجمل منك، وأغني منك بالطبع. أخبرك شيئًا جديدًا لن أتزوج مطلقًا.

ضحك ضحكة ساخرة:

- كفى كذبًا لن تجدي حتى قردًا، يتقدم لك، فلتنظري لنفسك أصبحت عجوزًا ورثَّةَ الثياب أيضًا.

أجابتَ بامتعاضٍ:

- قردًا غيرك. كيف وأنتَ هنا؟ أعتقد أن القرد سيشعر بالإهانة لأني شبهته بك.

أجاب بنبرةٍ باردةٍ، هادئةٍ:

- لا يا عزيزتي، القرد سيشعر بالإهانة لأنه سيتزوج بك.

كيف يخبرها أنه يحبها؟ كيف يفرغ مكنون قلبه لها؟

الأمر صعبًا جدًا، بل أصعب مما قد يتخيله أحد.

يعلم جيدًا أنها لا تريد الزواج ودائمًا ما تقول:

لا يمكنني جلب أطفال يعانون إلى هذا العالم، يكفي ما به من أطفال تعاني، هل سنزيد العالم المزيد من البؤساء؟

يتفهم كسرها، لا تريد أن تصبح مثل أمها، لا تريد أن يهجرها زوجها ويتركها تعاني فيما بعد للاعتناء بأطفالها. يكفي ما قد حدث لها، هل تريد أن تجلب طفلًا ليعيش معاناتها مجددًا؟

الأمر معقدً جدًا، بل في غاية التعقيد، كيف يشرح لها أنه مختلف وأنه لن يتركها أبدًا؟ لن يهجرها. سيبقى على الدوام معها. كيف يشرح لها أنه غارق في عينيها، غارق في تفاصيلها؟ غارق في عاديتها وعدم تكلفها، غارق بها بكل ما أوتي من قوة.

هي فتاة عادية جدًا كما يبدو، ترتدي سروالًا وقميصًا فضفاف لا يبرز أي من ملامحها. تميل إلى قص شعرها باستمرار. دائما ما تخبر ذاتها، أنها رجل لا يجب أن تلين أو تميل. يجب أن تبقى صامدة لأجل أسرتها، لأجل أمها، لأجل أخيها. ولكنها في النهاية فتاة، الارتداء مثل الرجال والتصرف مثلهم، لا يجعلها منهم.

هناك تلك الصديقة الملتزمة المحبة لها. هذه الصديقة تريد منها أن تهتدى، تكون فتاة عادية وحسب، أن تتصرف على طبيعتها. تريد أن تأخذ بأيدي من تحبهم إلى الجنة. ذلك القلب المعلق بالله، ماذا هل تظن أنه سيخذله؟ لا، والله أبدًا لن يحدث. نحن بخير لأن معَّية الله تراعنا وحسب. حاولت كثيرًا معها، أن تلتزم بالزي الشرعي، أو حتى إن ترتدي الحجاب.

ولكن كان ردها كالتالي:

-أنا لا أفتن أحدًا، لن يؤذيني أحد، وأيضًا لا يعلمون إن كنت فتى أو فتاة، حتى صوتي أصبح به بعض الخشونة.

تجيب صديقتها:

-يا درَّتي الغالية، ولكني أخاف عليكِ، ليس من البشر و إنما من حساب الله، ألا تعلمين؟

وصمتت تنتظر أن تسألها، وبالفعل قامت بسؤالها:

- ألا أعلم ماذا؟ يا روميساء.

لأح على وجهها شيئاً من الامتعاض لأنها ستخبرها هذا الشيء:

-أنتِ تلبسين لباس النساء المتشبهات بالرجال. أكثر ما نراه اليوم عند أغلبية الفتيات، عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال:

(لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ)

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

(لعنَ رسولُ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- الرَّجلَ يلبَسُ لُبسَةَ المرأةِ والمرأةَ تلبسُ لُبسَةَ الرَّجُلِ).

اللعنة:

تعني طرد من رحمة الله. يا لها من خسارة كبيرة، وأنا لا أريد أن تطردي من رحمة الله، أريدك معي في الجنة، أريد أن أكون بصحبتك في الأخرة.

كيف تخبرها عن مواطن خذلانها؟ وكيف تخبرها أن هجران أبيها هزمها وجعلها بهذا الشكل؟ كيف أن التراكمات حولتها لهذا الوحش الذي هي عليه. تعتذر لها في كل مرة أنها لن تستطيع، هي تريد ذلك ولكنها لا تستطيع. تخبرها أن تدعو لها، فالحب الحقيقي هو الكامن في

الدعاء. إذا كنت تحب أحداً فدع سهم الدعاء يصيبه. ما يجعلنا نتجاوز كل الصعاب هو اليقين بالذي ندعو به. واليقين أن الخالق لن يضيعنا.

في وقت ما كانت بأشد الحاجة لمن يواسيها، فذهبت لركنها الآمن وصديقة الفؤاد روميساء، أخبرتها بكل ما يثقل كاهلها.

ربتت عليها بحنوٍ وقالت:

-أ تعلمين قصة السيدة سارة والسيدة هاجر؟

أجابت بنفي:

-لا أعلم، ربما أعرف شيئًا بسيطًا.

أجابتها بهدوءٍ:

-حسنًا. اشتعلت الغيرة في قلب السيدة سارة من السيدة هاجر، الغيرة بين النساء موجودة منذ قديم الأزل وقامت بطردها من المنزل فأخذها سيدنا إبراهيم مع ابنها وتركهم في الصحراء القاحلة، وذهب دون النظر إليهم لأنه كان معلق الفؤاد بفلذة كبده إسماعيل، استوقفته قائلةً:

-أهذا ما أمرك به الله، أذاً أذهب فالله لن يضيعنا.

انظري معي ثقتها بالله الكبيرة، وأنتِ أيضًا لن يضيعك الله.

وما هي الدنيا إلا صديق يهون علينا متاعب الحياة، صديق نذهب إليه منهزمين. نعود وكلنا انتصار. صديق يرمم كسرنا، ويخبرنا أن لين الطين فينا مقصودًا. يخبرنا أن الغيمة السوداء، ما هي إلا سوداء ألا أنها ستمطر غيثًا يغيثنا.

الفصل الرابع

"تسارع الأحداث"

الأحداث متداركة ومتوترة ربمّا، تجري بحدّة. الأيام نفسها تتسارع كما يتسارع نبض سيدة في ألم المخاض. سيدة تتأوه وتتألم بشدة في انتظار الطبيب. ولكن هل يأت؟ يا هيهات، يأت الطبيب متأخرًا جدًا. في هذه الأثناء تكون السيدة لفظت أنفاسها الأخيرة. وجاء إلى الدنيا هذا الطفل،

الذي أصبح يتيمًا بدون سابق إنذار. ونحن أيضًا تلفظنا الدنيا بعيدًا، عن رحم الحياة. فكل شيء يبدو قاتم وباهت. نصبح أيتامًا وأباءنا وأمهاتنا على قيد الحياة. هل الحياة عادلة؟ لا أعلم ولكن الله عادل، هذه هي الحقيقة الوحيدة الصادقة والنقية.

تلك الحمقاء عادت متأخرة كمّا تفعل في العادة. حارسها الشخصي ما زال يحرسها ويراقبها، هل يحبها؟ لا يعلم، كل ما يعمله أن نبضات قلبه تزداد بجوارها. بينما تقود دراجتها وتسير بلا هوادة كما تفعل في العادة. إذا لمحت من بعيد شابين يسيئان التصرف مع فتاة. وأحدهم ممسك بذراع الفتاة بالقوة.

وهنا ثأرت غاضبةً واوقفت دراجتها:

-أتركا الفتاة وشأنها.

تكلم أحد الشابان متعجبًا:

- لن نتركها ماذا ستفعل أيها الغريب؟

آدم يراقب كل ذلك في صمت. ولكنه همهم قائلًا:

-ستسبب في إيذاء نفسها، وأنا لا أرَ جيدًا، من هذه الشجرة اللعينة التي تحجب الرؤية.

تكلمت بكل ثقة:

- قُلت أُتركا الفتاة وشأنها أيها الحثالة.

أجاب أحد الشابان بهدوءٍ:

-حسنًا. اهدأ يمكننا أن نقاسمها سويًا، لا داعي للإهانات أو المشاجرة.

نظرت بقرفٍ وحدةٍ:

- عارًا عليك، كيف تفكر بهذا التفكير المشين؟

وبينما هم يتجادلون أذ بالفتاة قامت بإفلات يدها و ركضت مسرعة نحوها.

وأخبرتها بكل خوف:

- أرجوك أنقذني، سأفعل أي شيء مقابل أ.. إنقاذك ليّ، أي شيء.

حاولت تهدئتها، وأن لا تخاف وأشياء من هذا القبيل. كانت فتاة هزيلة ويبدو عليها العَّته. وأكاد أجزم أنها تعاني من فقر الدم أو النقرس بالنظر إلى حالتها. أذا نظرت جيدًا ستري بوضوح أنها مستحضرات تجميل تحمل وجهاً في غاية البلاهة. شعرها باللون الأحمر الناري، هل هذا شعرها حقًا أم شعرًا مستعارًا؟ حواجبها مترفعة لدرجة أنه لأول وهلة تعتقد أنها بدون حواجب. لا أعرف كيف أصف منظرها كان بشعًا بالرغم من كل هذه البهرجة. دعونا من ثيابها الرَّثة ذات الألوان الغريبة. هذه الألوان تؤذي العين بشكل عجيب، وتجعلك تشعر بالدوار أو الغثيان ربما. لا أعلم لماذا لم يقئ الشابان؟ أو لماذا يريدان هذه الفتاة المسكينة؟ ومازال آدم يراقبها في سيارته اللعينة التي تعطلت للتو، تلك الخردة الهالكة. يراقب ماذا ستفعل فتاته الحمقاء التي تورط نفسها في المصائب؟ تلك المصيبة الكبيرة، صغيرته قنبلة موقوتة. لا يستطيع الذهاب ومساعدتها، فهذا يعني أنه يراقبها. وربما ستكرهه وتظن أنه متخلف و رجل شرقي من الطراز الأول. فالحقيقة هو كذلك، قد يكون عاشقًا ومتيم بها. ولكنه في النهاية رجل شرقي. سواء شئنا أم أبينا نحن في مجتمع شرقي، يقدس العادات والتقاليد. ومهما أدعينا أننا متحضرون

ونملك روحًا رياضية. فالواقع فلتذهب الروح الرياضية إلى الجحيم. نحن شرقيون وسنظل كذلك. المروءة والنخوة تجري مجري الدم في عروقنا، وأحمق من صدق تلك الترهات الأخرى. يثق بها ولكن ليس للحد الذي تظنه. لا يثق بعودتها وحدها عند منتصف الليل، يظل يترقب بصمت، ويرصد الطريق فقط لأجلها. لقد أحتفظ بها لنفسه، ولا يريد غيرها.

حتى لو عرضوا عليه أجمل النساء في العالم والأكوان المجاورة، ستظل هي فقط... ستظل هي فقط نبض قلبه وروحه التائهة. هي الوحيدة التي احتلت هذا القلب. هي كالوطن المحرر وهو كالأراضي المحتلة. لقد تم احتلاله وانتهى الأمر.

الفصل الخامس

"بداية اللعنة"

ما زال ينتظر، يترقب، يترصد، يقَّبع. قد يبدو أن جميعها لها ذات المعني ولكن المعاني مختلفة كليًا. وكل معني يعني شيئًا مختلف، هل الانتظار

مثل الترقب. شتان الفرق بينهما. كفيلم سينمائي غريب، ولقطة مقربة، عميقة. ينتزع شاب منهما الفتاة المبهرجة، ويجذبها إلى جانبه. صوت فتاتنا يبدو كطفل في الثانية عشر من العمر خالي من الرقة، وصوت جهوريٌ به بعضًا من الخشونة. لا أعلم كيف احتلت قلب هذا الآدم يبدو أنه مجنون ومختل عقليًا.

تجذب الفتاة إلى جانبها وتصرخ:

- لن تأخذوها أنا سوف أحميها.

من داخل السيارة ذلك الذي يراقب الموقف يقوم بالتصفيق بهدوءٍ:

-هذه هي فتاتي.

لن يجلس طوال الليل في هذا المكان العفن، وأيضًا يحتاج المساعدة من رفيقه ليأتي ويقوم بسحبه هو وسيارته الكهَّنة. بعد أن ملّل من تقاذف الفتاة أو النسناس، ماذا؟ لم يرى ملامحها هي فقط نسناس في ملابس مبهرجة. فعل ما كان يجب أن يفعله منذ البرَّهة الأولى. أتصل بالشرطة لتستكن روحه وعقله، لن يبقي هنا إلى الأبد وهو يشاهد تلك المسرحية السخيفة. ولم يكن يريد أن تهان فتاته. لماذا لم يقبض عليهم وهو ضابط شرطة أيضًا؟ قد أكون أخبرتكم ربما، أنه لا يريد أن تعرف أنه يراقبها. جاءت دورية الشرطة وأخذتهم جميعًا، بالرغم من محاولة هروب الشابان والفتاة المبهرجة.

كان الطريق هادئًا لا يقطعه إلا صفارات إنذار الشرطة ونباح الكلاب. المناطق في مثل هذه الأوقات تتحول إلى مقابر بشرية.

يمكنك تنفيذ جريمة قتل ولن يشعر بك أحد، حتى وإن صرخ القتيل لن يسمع صوته مخلوق على وجه هذه الأرض. كان هناك صمت رهيب في

سيارة الشرطة، الوجوه جامدة، لا ينبس أحد بكلمة. صمت موحشٌ. بعض النسمات الباردة.

قدما الفتاة الهزيلة ترتجفان وتتكور في محاولة لدفَّع هذا البرد عنها، ولكن دون جدوي. لا تدري ما الوقت الذي أخذته سيارة الشرطة في الوصول إلى المخفر! الوقت كان يمضي ثقيلًا جدًا، بعض دقائق قد تظنها سنوات. إن لم تكن تعلم الحقيقة ستجد أربعة أشخاص، ثلاث شباب وفتاة هزيلة. وإن كنت تعلم الحقيقة ستعرف أنهم شابان وفتاة هزيلة، وفتاة تلبس ملابس الرجال، وتبدو مثلهم ربما. تم عرضهم على الشرطي الذي في زاوية المخفر. يدخن الغليون، يبدو كبيرًا في السن، هناك شعيرات بيضاء تتسحب خلسة، حتى وإن كانت المحاولات المميتة التي تحاول بها صبغة الشعر أن تخفيها فهي تفشل في نهاية الأمر. يجلس بجواره شخصًا هزيلًا. من يراهم يظن أن أحد منهم في مجاعة والآخر هو سبب تلك المجاعة. تمتم بكلمات لم تكن واضحة، ولم يسمعها أحد. ولكن الكلمات كانت تخص صاحب البلاغ. قال بصوت به مزيج من الخشونة والحدة:

- هيا، هيا، كل شخص منكم يعطيني بطاقة هويته، لأخلي سبيلكم، والشابان ستوقعنا عريضة عدم تعرض، نريد الذهاب إلى منازلنا.

قاطعه صوت فتاتنا في رجاء بالطبع لن تتشاجر أو تتحدث بصوت بذيء:

-سيدي نريد أن نقدم ببلاغ على هذين.

بنفس بنبرة الخشونة:

-ومن صاحب هذه الشكوى؟

أشارت إلى الفتاة الهزيلة المنزوية في الركن.

أعاد النظر كرَّتين ونظر إلى من يحادثه:

-أنت لا تعلم من هي؟ الأفضل لك ألا تتورط في مثل هذه الأمور، وأعطني بطاقتك لأملئ هذه الأوراق ومن ثم تستطيع المغادرة.

أخذ بطاقة الهوية ونظر متعجبًا:

-لم أتوقع أنّ تكون فتاة، لا نبرة صوتك ولا ملابسك توحي بذلك، اسمعي مني هذه النصيحة لا تتورطي مع هذه الفتاة، أنا أحذرك يا بنيتي.

نظر إلى الفتاة الهزيلة بحدة:

-لا تجلبي المصائب لأولاد الناس يا سمر، أبقي بعيدة عنهم.

لم تنبس الفتاة الهزيلة بكلمة سوى أن أشارت برأسها علامة على السمع والطاعة.

بهدوء تام:

- سيدي يبدوان كالمتحرشين، أرجوك أفعل شيئًا، لقد حاولوا إيذاءها، أريد أن أتقدم ببلاغ ضدهم.

بذات النبرة الحادة أجاب:

- سيدتي، صاحبة هذا الشأن لا تريد ذلك، يمكنك سؤالها، خذي بطاقتك وأرحلي.

نظرت للفتاة برجاءٍ:

- أرجوك قولي إنكِ تريدين تقديم بلاغاً، أنا سأسندك صدقيني أقسم لك.

الفتاة ساكنة لا تتحرك ولا تتحدث أيضًا.

نظر بحدةٍ تكاد أن تقسم الفتاة الهزيلة نصفين مثل الريشة:

-سيدتي أخبرتك من قبل وما زلت أخبرك هي لن تتقدم ببلاغ أو إفادة حتى عنهم.

لم تستسلم حاولت مرارًا ولكن الفتاة لا تتكلم حتى أو تشير برأسها، مجرد إشارة. حسنًا. لقد أصابها اليأس وغادرت المكان وأخذت الفتاة معها.

كان أحد الشابان ينظر إليها ويتطاير الشرر من عينه، كيف لفتاة أن تقوم بإهانته هكذا؟

ليس غنيًا هو شاب ميسور الحال، كحال بعض الشباب في وقت أصبح الحلال صعبًا ويكاد أن يكون مستحيلًا. والحرام متاح بثمن ببخس، ومروج له في كل مكان. مروج له في الواقع وفي مواقع التواصل أيضًا، أصبح كل شيء متاح. بضغطة زر تجد ما تريد، إن كان جيد أو سيئ لا يهم. أصبح الترويج للعّهر عاديًا بل أصبح من يخالف ذلك هو المختل الوحيد. من ينادي بالأخلاق أصبح منبوذًا في ظل كل شيء أصبح غير أخلاقيًا. ولكنها أهنته وهي لا تعلم كنية هذه الفتاة التي دافَّعت عنها للتو. هل سيؤذيها أم أن الأمر برمته لا يستحق كل هذه الضجة؟

الفصل السادس

"هناك سر؟"

داخل السيارة المتهالكة يتنظر صديقه، الذي لم يأت بعد. يهاتفه مجددًا، لا يرد، يتأفف، يلعن هذه الخردة. يتنظر، يفكر جدياً في ترك هذه الخردة

والذهاب سيرًا على الأقدام. يجول في خاطره لن يسرقها أحد، أو ربما أحدهم يفعل لن يتركها إذاً. يهاتف صديقه مجددًا، يجيب أخيرًا.

في نبرة نعاسة:

- ماذا تريد في الصباح حسنًا؟

يرد عليه غاضبًا:

-أيها الغبي فلتحضر حالًا والآن لتقلنني بسيارتك.

يستيقظ قليلًا:

- حسنًا. سأتي انتظرني.

لا يعلم لمَ هذا الغبي صديقه حتى؟ ربما لأن الفتاة التي يحبها تكون أخته، لم يخبر أحدًا بذلك المكنون بعد. أحيانًا يعجبُ ببرود دم أخيها، وكيف يتركها وحدها، فمهما كانت ثقته بها لا يجب أن يتركها وحدها، هي ليست فتاة قوية، هي هشة جداً. تظن أنها قوية ولكنها عكس ذلك كله. بالرغم من جمودها فهي تبكي إن رأت عصفورًا ملقى على الأرض جثةً هامدةً، قلبها رقيق جدًا و هش كذلك. هل يحبها حقًا؟ أحيانًا لا يعلم إن كان ذلك حبًا أم لا؟ وحده الله يعلم ما بداخله. أعتقد هذا يكفي.

بعد أن خرجت من المخفر وأخذت الفتاة معها، سألتها سؤالًا واحدًا وكنت تنتظر إجابته:

-لماذا لم تقدم بلاغًا؟ لماذا لم تتكلم؟

ولكن الفتاة أجابت بجواب مغايرًا:

-لأن عملي يحتم عليّ ذلك، أنتِ لن تفهمي ذلك، في البداية ظننتك شابًا يمكن أن يحميني، ولكن الآن علمت الحقيقة، سيدتي أنا أعمل لأعيل أسرتي، ربما لن تفهمي ولكن أمي مريضة وإخوتي في المدارس وطلباتهم كثيرة، وأيضًا أي عمل لن يشكل فرقًا كبيرًا.

رق لها حالها وأخرجت راتبها الشهري، ليس مبلغًا كبيرًا ولكنه يفي بالغرض ودسته في يدها:

- تفضلي هذا وإن احتاجتِ أي شيء يمكنك مهاتفتي متى شئت، ولا تقولي شيئًا اعتبريني أخت لك، ولا أريد استرداده أيضًا أنه هدية مني.

صمتت ثم أضافت:

- ولكن ماذا تعملين؟

ردت الفتاة في ارتباك وربما تعلثمت قليلًا:

-أعمل مندوبة مبيعات، ولكنه عمل سيئ ومضني.

تعجبت منها حقًا، فهذا ليس عملًا يمكن للمرء أن يخجل منه!

أخبرتها إن كان هناك شيء يمكن أن تفعله لها، فطلبت توصيلها لمنزلها. كان حياً مفقرًا وموحشًا. أذ نظرت جيدًا ستجد هناك أكياس من القمامة مكدسة بجوار كل منزلٍ. المنازل ذاتها تكاد تميل للسقوط، وربما بعضها سقط بالفعل. إذا تكلمت يمكنك أن تنصت لصدى صوتك، حتى الكلاب لا وجود لها في هذا المكان الخاوي.

ودعتها ولم تكن تدري أن حياتها ستتغير كلّيًا منذ أن عرفتها. هل حقًا كانت غبية لدرجة لم تعرف ماهية عملها؟

التفوق الدراسي وحل المعادلات لا يجعل منا أذكياء.

لا أعلم إن كان هناك أناس أغبياء بهذا الشكل أم لا؟

ولكن أحيانًا تكون الحقيقة أمام أعيننا ونحن لا نرى أيضًا. صديقنا الخائن كان خائنًا منذ البداية ونحن لم نكن نعلم، هل كنا أغبياء وقتها؟ أم أن محبتنا و ودنا كان طاغيًا علينا؟

الشخص الذي كذب علينا كان كاذبًا ولكننا صدقناه لأننا لا نحمل في قلوبنا خبثًا مثله. الشخص الذي أستغلنا، كان مستغلًا من أول الأمر ولكننا تغاضينا.

الفصل السابع

"لم تستمع"

مرت عدة أشهر على هذا الموقف، مرت شهورًا عادية وروتينية أيضًا كل شيء يسير كما يجب، أو كما كان يحدث.

قصت ما حدث معها لصديقتها روميساء، وأخبرتها بشأن الفتاة أيضًا. لم يعجب روميساء الأمر وأخبرتها بكل صراحة إلا تثق بها، وأن قلبها غير مطمّئن لهذه الفتاة بالمرة. و أخبرتها أيضًا، أنها رأت في منامها أن هناك أفعي تلتف حولها وتريد تمزيقها، وأنها عندما فسرت هذه الرؤي كان تفسيرًا غير محمودًا، وأن تأخذ حذرها لأجلها فقط. ولكنها لم تهتم بما قلته لها، وكأنها لم تسمع لحديثها من الأساس، لم تبالي بما سمعت أو بما حذرت منه.

كانت تعتقد فقط أنها فتاة هزيلة ومسكينة تعيل أسرتها، وأن بعض الشباب قاموا بمضايقتها وهي دافَّعت عنها.

لم تعلم أن هناك أمورًا كانت مخفية، حديث الشابان في البداية والشرطي في المخفر وحديث الفتاة نفسها، كانت أحاديث مبهمة وتخفي الكثير. ولم تكن تعلم أن هذا الكثير هو مؤذي، قاتل، وربما قد يدمر حياتها وأحلامها التي كانت تريد تحقيقها.

حتى عندما أخبرت أخاها علاء عن الأمر أخبرها أنّ تبتعد عن هذه الفتاة، وأخبرها بكل صراحة أنها تبدو فتاة سيئة السمعة والابتعاد عنها ثواب ومغفرة. تحدثت مع آدم أيضًا وأخبرها بحدة وغضب، أن تبتعد عنها. ولكن غضبه ما زادها إصرار على مصادقة هذه الفتاة، وكأنها

تفعل كل شيء يثير جنونه وغضبه. أعتقد لو تحدثت مع المجرات المجاورة وأخبروها بخطئها لربما لم تستمع لهم أيضًا، وقامت بتنفيذ ما يجول في عقلها وحسب.

إذا كان المرغوب غير مرفوض فكيف سنرغبه إذاً؟

هنا مربط الفرس إننا نرغب فيما يحذرنا منه الجميع، حتى وإن كان الجميع محقًا، ونحن حتى وإن كنا مخطئون لا نرى ذلك ونتحاشاه كما ما لم نفعل من قبل.

تحدثت مع صديقتها داليا أيضًا، ربما كان الموضوع مشوقًا لهذه الدرجة ويستدعي كل هذا الكم من الأشخاص لتقرر قرارها الذي ستفعل عكس ما يطلبه منها الجميع في النهاية. بالمناسبة داليا لم تهتم كثيرًا بالأمر. فقط قالت لها:

-انظري يا فتاة افعلي ما يحلو لك فالنهاية أنتِ لا تستمعين لأي منا، تضربين بنصائحنا عرض الحائط، فلنَّ أقُل شيئًا لك، لأنك ببساطة لن تستمعي.

لقد كشفتها شخصيًا ودخلت في أعماقها وعرفت ما يجول في خاطرها، كيف أن تكون لك مثل هذه الصديقة التي تعلم أن نصائحها لن يأخذ بها لذلك لن تقُلها وتتعب ذاتها في حديث سيرمى في نفاية اسمها عقل؟ ولكن من داخلها تعلم جيدًا أن أولئك محقون ولكن لن تخبرهم بذلك. فهي تريد أنَ تؤكد لهم أنّ المظاهر لا تصف الشخص أو تخبرك من يكون؟ ربما تكون فتاة جيدة وهما لا يعلمون؟ ربما الظروف والحياة هي من رمت بها في هذه الطريق القاحلة! ربما بإصرارها ستثبت لهم أنهم على خطأ. ولكن أحيانًا لا يكون الناس مخطئون، ربما نحن من نخطئ.

بالمناسبة سيرين أو السيرين هو مركب عضوي بالصيغة الكيميائية HO^2CCHCH^2OH ، وهو أحد الأحماض الأمينية العشرين الموجودة في البروتين الحيواني.

سرين كما يكتبه آدم وهو مكان موجود بالفعل، هي مدينة أثرية وميناء مندثر تقع جنوب الليث غرب المملكة العربية السعودية، ازدهرت المستوطنة منذ بداية العصر الإسلامي حتي القرن الثامن الهجري. وأيضاً هناك وادي في المملكة العربية اليمنية باسم وادي السرين.

لقد اندثرت المدينة وهل تندثر هي معها؟ هل يكتمل هذا الحب السرمدي؟ الحب الذي كان من طرفه وحسب، فهي لا تؤمن بالحب، لا وجود للحب بالنسبة لها. كيف ستحب أحدًا وأباها لم يحبهم، لقد هجرهم، وترك والدتهم وتركوهم ليعانوا وحدهم.

أين ذلك الحب بعد كل هذا الخذلان؟ إن كنتم متحيرين لماذا يفعل كل ذلك؟ ولماذا يحميها؟ لقد تقدم لخطبتها العام الماضي ولكنها رفضته، ولكنه لم يستمع لها، فهي خطيبته شاءت أم أبت. رأيها غير مهم بالمرة، فهي لا تعرف مصلحتها جيدًا. كان أخاها موافقًا فهو صديقه وابن خالته فأين سيجد مثله؟ وأمها أيضًا ابن أختها وهي تحب عائلتها ولا ترى في الدنيا أناس مثلهم، فهم ملائكة والجميع عداهم شياطين. هم من ساعدوها في الفترة القاسية في حياتها وحياة أبناءها، لم يكن لهم ملجأ، ولكنهم وفروا لهم ذلك.

كان يمكن أن يدهسوا على حقها ولا يعطوها شيئًا ولكنهم لم يفعلوا، لقد كانوا السند في ظل ما كانت عائلة زوجها تتخلي عنها.

آدم دائمًا يريد أن يطمئنها، يخبرها أنه ليس كأبيها، أن ليس كل الرجال مثله، أنه لن يتركها وإن تم قتله لأجلها. ولكنها لا تستمع، لا تصدق كلامه أو لا تريد أن تصدق. هناك صورة في عقلها لا تريد محوها، ولكن في ذلك ظلم كبير إلى متّى ستظل هكذا؟ ولكن هل حقًا نأخذ أشخاص كأباءنا أو نصيبنا يكون بصفات أباءنا؟ هل حقًا نأخذ من يشبههم؟ ولكنها لا تريد ذلك. هل القدر له رأي آخر؟

الفصل الثامن

"غبية"

كانت تتواصل مع الفتاة وتتحدث معها بالرغم من تحذير الجميع لها. بعد انتهاء الامتحانات، وها هي إجازة نهاية العام تحل وتهل.

الاستراحة القصيرة من الدراسة نسبيًا، بعد شهران أو ثلاث ستعود المعاناة مرة أخرى.

في يوم ما طلبت منها الفتاة أن تحضر للحي الذي تسكن به، لأن والدتها مريضة وأحضرت الطبيب وليس معها أجرته، ولم تجد من تحدثه غيرها فلقد اعتبرتها أختها وبشكل حقيقي وصادق.

ذهبت مسرعة دون أنّ تخبر أحدًا أين ستذهب لم تخبر حتّى روميساء، ذهبت وحسب.

مرت بنفس الشارع ودخلت نفس الحي المفقر كانت تعتقد أن الظلام من يجعل الحي مرعبًا ولكن الضوء جعله أكثر رعبًا وقذارة. نزلت من دراجتها وصعدت للمنزل المتهالك، قابلتها الفتاة الهزيلة على الدرج وأعطتها كوبًا من المياه، وحاولت أن تهدأ من روعها. تناولت كوب المياه، و دلفت إلى الشقة، كان الأثاث مهترئ وقديم، ويبدو بشكل كلّي أن لا أحد يعيش هنا. الأتربة تغطي جميع الأجزاء، يبدو المكان كمقبرة لا يمكن لبشري أن يعيش هنا. لا يوجد أحدًا أو حتى حيوانًا في هذا المكان.

تدريجيًا أستحوذ الرعب على قلبها وسألت:

-أين والدتك وأخواتك؟ وأين الطبيب؟

ردت الفتاة في هدوء يشوبه الخبث:

-لا يوجد أحد هنا، لا أفعل هذا لأجلي و إنما من أجل المال لا تؤاخذيني، ولكنك غبية جدًا.

شعرت أن رأسها يدور وأن الغرفة بأكملها تتبدل:

-ماذا تقصدين؟ ماذا وضعتِ في كوب الماء؟ هل تريدين نقودًا يمكنني أن أعطيك ما تريدين فقط أتركيني أرحل؟

أجبت بابتسامةٍ ساخرةٍ لاحت على وجهها:

-لقد تم دفع هذا الثمن من قبل ولا يمكنني التراجع.

يدخل الغرفة أحد الشابان اللذان كانا في المخفر في تلك الليلة المنحوسة. يوجه نظره إلى الفتاة الهزيلة ومن ثم ينظر لها:

- كيف قمت بإحضارها لم أظن أنك قد تفعلين مثل هذا الشيء؟

نظرت له وأجابت بهدوءٍ:

-أفعل أي شيء لزبونٍ مثلك، ولقد أحضرت ما تريد أيضًا.

قامت برمي كيس به بعض الحبوب الكريستالية أو حبات الملح ربما. بشكل تفصيلي حبيبات كريستالية زرقاء وبيضاء لامعة أو كقطع الملح ناصعة البياض.

في وضعٍ خدرٍ:

- أرجوك لا تفعل، أرجوك لا تفعل، لا تأخذ هذا الشيء أنت لست شخصاً سيئاً، أرجوك لا تفعل شيئاً ستندم عليه.

لم يأبه بما تقول، نظر للفتاة الهزيلة نظرة حادة:

-ولكن ليس هذا ما طلبته؟ هل دفعَّت كل هذا لأجل هذه الحبيبات؟

أجابت بهدوء ماكر:

-عزيزي شريف، هذا مخدر قوي جدًا وجديد سيجعلك بعالم آخر، ستنسى كل شيء، لن تكون موجودًا في هذا العالم، ستكون في عالم أنت الملك به والحاكم.

نظر بعطف ناحية الفتاة المخدرة والتي تتوسل ألا يتناول هذا الشيء:

- لا أريد هذه الفتاة، لن أفعل بها شيئاً، لن أستطيع أن أؤذيها، كنت أريد من قبل أن أفعل ولكن الآن لن أفعل، هي لا تستحق ذلك، خذيها من هنا.

نظرت لها الفتاة الهزيلة وأجابت بمكر:

-حسناً، سأفعل ما تريد، ولكني أعرف أنك ستغير رأيك أ ليست هذه التي وصفتك بالمتحرش والمغتصب، أوه يا لها من إهانة كبيرة لشاب مثلك.

نظر لها بحدة:

-لم تقل هذا، حسناً خذيها بعيداً، لن أؤذيها أخبرتك بذلك، هي ليست عاهرة مثلك.

لم تتحدث فقط أخذتها بعيدًا في غرفة مجاورة لغرفتها، وقامت بتبديل ثيابها، لثيابً أكثر جمالًا كان فستانًا أزرق اللون، أختاره الشاب لها، لم يكن فستانًا مخلًا كان فستانًا عاديًا بأكمام طويلة وكان ساترًا، لقد كان يريد أن ينتقم لكبريائه ولكنه نزع الفكرة عن رأسه عندما راها بهذا الشكل الضعيف والهش لقد رق قلبه وضميره استيقظ من سبأتهِ. وضعت

لها بعض مساحيق التجميل، لقد أصبحت فتاة جميلة مختلفة عما كانت عليه. لقد نعتها بالعاهرة حسنًا. ستكون عاهرة بشكل كلّي عاهرة حتّى في عقلها، وهل هذه الفتاة تكون أطهر منها، لا يمكن أن يحدث هذا؟

كيف يمكنك قتل فتاة؟

أحضر فتاة أخرى وستتكفل بالأمر.

تركتها وذهبت لتجلس بجواره وتضع يدها على كتفه:

-هل تعرف كيف تتناول هذا؟

أجاب ببرودٍ:

-لا، أعرف يتمّ حرقه واستنشاق أبخرته عن طريق الأنف أو الفم، أو تدخينه، الأمر سهل جدًا.

تحدثت بنبرة جامدة خالية من المشاعر:

-حسنًا. تناول هذا وستجدني في الغرفة هناك.

في داخله لا يريد أن يفعل ذلك، ولكن الضغوط النفسية والاقتصادية تجعل من الشخص كتلة من التراكمات، يريد أن يهرب من واقعه. الهروب من الواقع بالمخدرات، لا يريد ذلك ولكنه يشعر بالنشوة والسيطرة في هذا العالم. كانت بالبداية ببعض الأفيون والغليون ومن ثم الحشيش والآن هذا المخدر اللعين.

الفصل التاسع

"غير واعً"

تتصاعد الأدخنة، وتملأ الغرفة وهناك موسيقى صاخبة تعزف، صوت كلاب تعوي، زئير أسود تصطاد فريستها، جاريات من العصور القديمة ترقص، طبول تدق، وضحكات تتعالي، وجسد أصبح قويًا وشامخًا، الموسيقى تزداد صاخبًا، الكلاب تعوي بشكل هستيري.

رجل يسير بلا وعي، نحو فتاة تحاول المقاومة ولكن جسدها مخدر ولا تستطيع النهوض، تتوسل، تترجي، تصرخ، تأن، تبكي، تتوسل مرة أخرى، تبكي، تصرخ.

ولكنه في عالم آخر، ولا يستطيع سماع رجاءها، ولا حتى يعرف ماهيتها، كانت تخبره ألا يفعل، ألا يفعل هذا الشيء، ولكنه لم ينتبه لتوسلها. لقد اقترب منها، وقام بتمزيق ثيابها في وحشيةٍ، لم يكن هو ذلك الشخص كان المخدر أقوي منه. وسط صراخاتها وعويلها لم يهتم بهذا، وأنقض عليها كما ينقض الأسد الجائع على فريسته. لم يرحم ضعفها ولا توسلها الدائم له. كيف تتوسل لشخص مغيب عن واقعه؟ مسلوب العقل في هذه اللحظة. كلما حاولت المقاومة، كان الأمر أكثر بشاعة وألم.
كانت تشعر بالألم وأن جميع أحلامهم التي حلمت بها تحطمت. وعرضها الذي تم هتكه من قبلَّ ذئب بشري غير واعٍ. لم تكن تريد لهذا أن يحدث، لم تكن تريد كل هذا. لم تكن تريد أن تكون هذه الحياة ظالمة معها لهذا

الدرجة. أب هجرها صغيرة، معاناة الطفولة وأطفال الحي يتنمرون عليها وعلى أخيها، أن أباهم كان مدمنًا وتركهم ورحل. معاناة في الدراسة، معاناة في الجامعة. والآن ... والآن هذه المعاناة أو المأساة ربما.

لم تكن تتوقع أن تسوء هذه الأمور لهذه الدرجة، كانت تستحق شيئًا أفضل، ولكن هذا لم يحدث. لم تدري كم أستمر هذا؟ لقد فقدت الوعي.

آدم يبحث عنها كالمجنون، ذهب لجامعتها، والمخفر، حتى أنه ذهب للمطعم الذي تعمل به، ذهب لروميساء، داليا. ولكنه لم يجدها، لقد جن جنونه. لقد غفل عنها بضع ساعات وحسب، بضع ساعات لعينة. ذهب لمنزلها، سأل أخاها، أمها، لم يجب أحد. كانت الردود باردة تكاد أن تقتله. لا تقلق عليها، هي بخير، لم يتأخر الوقت بعد. الثقة الزائدة قاتلة ربما أو حتمًا. ما عدا روميساء التي أخبرته:

-قلبي غير مطمّئن عليها، داليا أخبرتني أنها رأت رؤية غريبة، أن هناك وحشًا ضاريًا يفتك بسيرين، وهذه الرؤية في التفسير غير محمودة، وأنا أيضًا رأيت شيئًا من هذا القبيل، ولكنها لم تعرني اهتمامًا، أرجو أن تكون بخير، لقد كنت أسمع صراخها بالأمس في أحلامي.

آدم بنبرةٍ قلقةٍ:

-وهل هذا يطمّئن قلبي يا روميساء؟ هذا يزيد الوضع سوءًا صدقيني.

في الحي اللعين، عندما استيقظت وجدت نفسها في ذات المكان اللعين، ولكن لا يوجد أحد ولا أي مخلوق. ثيابها ممزقة ولا تشعر بقدميها، لا تستطيع النهوض، هناك كدمات متفرقة على جسدها و وجهها، تشعر بألم في حلقها، وعضلات جسدها. على الدرج بجوارها هناك نقود مرمية،

هاتفها، حقيبتها، لقد سرق ما هو أثمن من الهاتف فما بالهم به. تريد الصراخ والبكاء أو ربما تريد الموت، فهذا أفضل بكثير. تنتابها هستيريا رهيبة من البكاء والصراخ، والتمتمة بكلام غير مفهوم. ربما تستمر لساعات على هذا الحال، ينفذ البكاء، يؤلمها حلقها، تضيق الغرفة وتصبح مثل علبة صغيرة تكاد أن تختنق فيها، وربما فضلت الاختناق فهذا أفضل. دوامة سوداء تحيط بها، الدموع جفت، الجفون أرهقت، لا وجود للألم أو ربما لا وجود لها، ولكن هناك الكثير والكثير من الألم. الهاتف يدق، الهاتف اللعين ما زال يدق، صوته أصبح مزعجًا للغاية، صوت الحشرة التي تمشي على خشب ذلك الكرسي أصبح عاليًا بشدة، أقدام النمل في المكان صارت مزعجة. في غمرَّة كل هذه الصراعات، تلتقط الهاتف وتجيب بصوت مبحوح:

-آدم أنقذني، النجدة ... أرجوك. لا أعرف أين أنا ؟ .. أنه مكان ملعون وحسب ... أرجوك أن تسرع.

الفصل العاشر

"هستيريا وجنون"

سمع صوتها وجن جنونه، أخذ سيارته المهترئة وذهب مسرعًا للمكان الذي وصفته له. المكان القذر نفسه، صعد إلى درجات السلم. وقف أمام شقة يبدو أنها مسكونة أو كانت كذلك، هناك سجائر مرمية بلا مبالاة، زجاجات فارغة من المواد الكحولية، كيس من حبيبات مادة الشبو المخدر. لقد عرفها من أول لمحة، لأنه يعمل في قسم مكافحة المخدرات، وهذا المخدر اللعين يقضي على الآلاف من الشباب الأبرياء، يسلبهم الوعي ويجعلهم مغيبين تمامًا، وأسوأ في ما فيه هو إدمانه، ليس كباقي المخدرات العادية لا يستلزم أن تأخذ وقتًا في تعاطيه، المرة الأولي كافية وحسب لتصبح مدمنًا لذلك المخدر الشيطاني.

يتبع آثار الأقدام، بالتأكيد كل هذه الأتربة اللعينة يمكنها أن تخلف آثارًا لفيل وليس فحسب لإنسان. يفتش في كل الغرف، يجدها في الغرفة الأخيرة تغطي نفسها بالملاءة. لم يكن يريد أن يراها هكذا، لم يكن يتخيل أنه سيراها هكذا. وجهًا أرهقه البكاء ومليئاً بالكدمات، جفون مرهقة. لقد كان قلقًا أم الآن فهو غاضب، مقهورًا، تشتعل في قلبه نارًا لن تخمد،

يكسر كل ما يجده أمامه، يصرخ، يحطم كل شيء أمامه مثل قاتل مأجور بدون قلب ولا شفقة.

يصرخ بوجهها:

- من اللعين الذي فعل ذلك؟ أخبريني.

لا تجيب، يتركها، يحطم شيئًا ما، يعود مجددًا، يمسكها من عنقها يريد خنقها:

-أخبريني وإلا قتلتك، من الوغد الذي فعل ذلك؟ سأقتلك إن لم تفعلي.

تنظر له والدموع تجري على خدها وبصوت مبحوح:

-لا أعرف من، لم أعرف من هو؟ كان شابًا من هؤلاء الشباب الذين أنقذت منهم الفتاة، أقتلني، هيا فلتقتلني والآن.

يترك عنقها، ويخرج مسدسه من مكانه، يلقمه، يضعه في منتصف جبهتها:

- أنتِ من أردت ذلك وأنا سأنفذه.

تنظر له ببؤس شديد:

- أقتلني والآن، هيا أضغط على الزناد يا آدم، أرجوك أن تخلص روحي من هذا العذاب.

لم يستطع، لم يستطع أن يقتلها، أبعد المسدس عن جبهتها وجلس يبكي، الرجال لا تبكي ولكنه لم يستطع ألا يفعل:

-لن أستطيع قتلك، لن أقدر، كيف أقتلك؟ يمكنني قتل الجميع إلا أنتِ.

كان يريد أن يقترب منها، كما كان يفعل سابقاً ولكنها انتفضت وأصابتها نوبة من الهلع:

- لا تلمسني .. لا تقترب .. لا تقترب أبتعد.. أرجوك.

لم يعرف كيف ينظر لها؟ كيف يلؤمها؟ هل يلؤم نفسه لأنه غفل عنها بضع لحظات، كانت كفيلة بقلب الموازين كهذا؟

أي نظرة ستكون معبرة الآن في هذا الموقف.

نظر لها بجمود كأن قلبه تجمد:

-هل تستطيعين السير بمفردك أم عليّ حملك للأسفل؟

حاولت أن تخفي نظراتها:

- لو كنت أستطيع لفعلت. أعتذر لأجعلك تفعل هذا الأمر رغمًا عنك.

أجاب بذات الجمود:

- لا بأس.

قام بحملها من مكانها، لم تكن ثقيلة ولكن قداماه لم تعد تحملانهِ، أنه مثقل من الداخل، يشعر كأنه يحمل أطنانًا من الهموم، لم يرد هذا الأمر مطلقًا، لم يتخيل أن أحدًا يمكن أن يؤذيها. كيف لأحد أن يؤذيها وهي لم تؤذ أحدًا في حياتها، لقد كانت دائمًا ما تتعرض للأذى؟ لماذا كل هذا الظلم ضد جناح طائر ضعيف؟

نزل بها درجات السلم اللعين، وضعها في السيارة كما يرمي جثة. لم تكن بجانبه هذه المرة، لقد كانت في المقعد الخلفي. قام بتشغيل السيارة

اللعينة، لم تتعطل هذه المرة، ليتها فعلت، لكان هناك شيئًا يفرغ به غضبه وما يشعر به.

كان الطريق نحو المستشفى طويلًا ومرهقًا، كانت هناك أفكارًا تجول في عقله، كان إحداها أن يقفز بالسيارة من ذلك الجبل الذي يمر به في هذا الوقت. كانت أفكارًا سوداوية ومجنونة، ولكنه لم يفعل ذلك.

أخبرها وهو يقود سيارته:

-لن نذهب للمشفى سنعود أدراجنا، سيكون هناك تحقيقًا وربما يسجلون بلاغًا أيضًا، لا نريد فضائح يكفي ما حدث، سنذهب إلى منزلك، ونخبرهم أنك تعرضتِ لحادث بدراجتك النارية، وبالمناسبة دراجتك قد تمت سرقتها، سأحاول أن نستعيدها، ربما نصل لهذا اللعين.

لم تجب ظلّت صامتة كأنه يحادث نفسه، لم تبدئ أي ردة فعل، ولا حتى وجهها يتحرك، جمود تام. حتى هو ظل صامتًا، ولا يتحدث فترة من الزمن ... ماذا يقول لا يوجد ما يقال؟ بعد طريق مرهق نفسيًا أكثر ما هو عليه فعلياً، أحضر لها مسكنات للألم، تناولتها في وجوم. حملها مجددًا لباب الشقة التي تسكن بها، كادت أنفاسه أن تنقطع، ليس بثقلها الفعلي، هو يشعر بالثقل بالفعل يشعر كأنه يحمل جبالًا لا إنسان بضعة كيلو جرامات. أنزلها، حاولت التماسك أمام أسرتها، كانت هناك أسئلة كثيرة موجهة كلها إلى آدم، تركتهم ودلفت إلى غرفتها وأغلقت على ذاتها.

في الخارج آدم ينصت للأسئلة وأولهم سؤال خالته التي لطمت على وجهها عندما رأت ابنتها بهذا المنظر:

-ماذا حدث لها؟

أجاب بجمود:

ـ لقد تعرضت لحادث بدراجتها النارية وقد سرقت، سأحاول كل جهدي أن أستعيدها.

تدخل أخاها:

-ولكن هذه الكدمات غريبة جدًا، أليس كذلك؟

وجه نظره إليه وأجاب في حدة:

-هل لك إن تبتلع لسانك وحسب، وإلا تتحدث يكفي ما أمر به؟

خالتي الأمر بسيط وسأتولى الأمر لا تقلقي حسنًا، هي بخير أو ستكون كذلك.

يذهب ويتركهم لم يتحمل أن يبقي طويلًا هناك. كان هذا المنزل يبعث في قلبه الراحة، والآن لا يشعر إلا بالأشواك التي تلتف حوله عنقه وتخنقه. في غرفتها لا تتحدث مع أي أحد، أصبحت عاداتها غريبة تستحم كثيرًا، لا تجلس معهم، تظلّ نائمة لساعات طويلة، يصدر آنين من غرفتها ليلًا لا تتناول الطعام معهم، لا تذهب لعملها، لا تقابل أصدقائها حتى. كان الأمر غريبًا جدًا وغير عاديًا.

الفصل الحادي عشر

"منزل دافئ"

في منزل ينعم بالدفء وقرآنًا يتلي وفتاة تجلس على كرسي متحرك مع صديقتها، يقومان بتحفيظ هؤلاء البراعم الصغيرة القرآن. يدخل شابًا منهك القوي، حزين بشكل مفرط.

تترك فتاة منهم هذه الجلسة وتذهب إليه وتسأله:

-ماذا بك؟ ما الذي يحزن أخي لهذه الدرجة؟

يحاول أن يستجمع الأحاديث في حلقه:

-هل يمكن أن نتحدث بمفردنا؟

تنظر لصديقتها:

-سجود هل يمكنك الرحيل مع الأولاد؟ الأمر يبدو مهماً للغاية.

تنظر صديقتها لها:

-حسنًا. يا سَعادة سنرحل يمكنك التحدث مع أخيك، كان يجب أن نغادر قبل أن يأت ولكني لم أتوقع مجيئه باكرًا.

قال لها وهو ينظر لأسفل:

-أعتذر لم أقصد، أعذريني.

أخذت الأولاد ورحلت، لقد انتهى درسهم على كل حال.

بعد أن غادرت وتأكد أن لا أحد سيسمعه جثا تحت قداميّ أخته وأخذ يبكي بكاءً هستيريًا ويتمم بكلام غير مفهوم:

-سامحيني يا أختي ... لم أقصد ... لم أقصد ذلك حقًا ... لم أرد ... ولكن تلك اللعينة هي من أجبرتني على ذلك.

حاولتَ التهدئة من روع أخيها:

-ماذا فعلتَ يا أخي هل دهست على ذيل قطة بالخطأ؟ أم نسيت أطعمها مجددًا؟

بنفس الهستيريا:

-لقد .. أذيت ... أحدًا ... أنا مجرم يا أختي ... أنا حيوان.

خطر في بالها العديد من الأفكار ولكنها طردتها جميعًا وأجابت بودٍ:

-أخي أنت لا يمكنك أن تؤذي قطة صغيرة، يبدو أنك واهم وحسب، سأرقيك لعل الشيطان يبتعد عنك.

سأل سؤالًا أراد سؤاله منذ البداية:

-هل يغفر الله كل شيء؟

أجابت بودٍ:

-يغفر كل شيء يا أخي إلا الظلم، أتعلم هناك آية قرآنية ربما تفيد في هذه الحالة (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) مهما كان ما فعلته فأن الله سيغفره، لا تقلق أنا أثق بك لا يمكنك تؤذي ذبابة حتى.

سرها في نفسه ولم يتكلم، كيف يتحدث وقد فعل شيئًا مشينًا، لم يكن يريد ذلك ولكن تلك العاهرة الهزيلة هي من جعلته في هذه الحالة أنها الشيطان بصورتها البشرية، أخشى أن الشيطان يخاف منها.

وعندما أفقت من تأثير المخدر، وما فعلته، حاولت أن ألومها أو أن أؤنب ضميرها ولكنها لم تهتم فقط قالت ليّ:

- عزيزي أنت أردت فعل ذلك منذ البداية فلا تلؤمني، لا تلؤم إلا ذاتك الشَّرهة، لقد فعلت ما كان في ذاتك، ما فعلته أنا هو إثارة تلك الرغبة، وقتل ضميرك بهذا المخدر، لم أقصد ذلك بشكل فعلي، ولكنك أردت ذلك، وذلك الطريق عندما تسلكه لن تعود منه مثلما كنت، سأختفي هذه الفترة وأنت أيضًا يجب أن تختفي، سأعود إليك مجددًا لا تقلق، لا أهرب من أي زبونً فأنا أجمعهم بصعوبة.

كانت هذه هي آخر كلماتها قبل أن تغادر أو أغادرها، لا أتذكر بالضبط. لم أخرج من المنزل طيلة الشهرين الماضيين، وكان على أختي أن تذهب إلى سجود والأولاد لمنزلها، لتقوم بتحفظيهم القرآن. فالواقع أشتاق لهذه المادة المخدرة، حاولت استخدام كل المواد المخدرة الأخرى ولكنها جعلتني أكثر استيقاظًا. تستحق أختي أخًا أفضل مني، أنها بريئة جدًا تظن أني أذيت قطة صغيرة، فالواقع لقد أذيت إنسان، يا ليتها كانت قطة، عندما أفكر بالأمر أشعر باليأس والخوف. أخاف على أختي كثيرًا، أن أدان بها، أن تكون عقوبتي في أختي. لا أريد ذلك يكفي ما حدث لها في طفولتها، فقدنا أبانا وأمنا في حادث السيارة المنحوس وهي أصابها الشلل في أطرافها. أنها تتعالج الآن وتستجيب للعلاج. لقد أصبحت تتعكز بالعكازين وهذا تحسن كبير لم أكن أحلم به. ولكني أصبحت خائفاً، الخوف يأكل قلبي أكلًا. لا أفكر في هذه الفتاة لأني أتذكر ما حدث ولكني أعرف وخائف من عواقب ما فعلت. لو عاد بي الزمن لمّا فعلت هذا الشيء، ولكن الندم لن يفيد مطلقًا. في الواقع أنا أحب سجود، لا أعلم ما الذي فعلته ولكنها لا تنظر ليّ مطلقًا. أشعر أن أحدهم أخبرها بشيء ما عني، أو علمت بشأن ما فعلت. لا أعلم، حاولت سؤال أختي ولكنها لم تجب. وبعد إلحاح طويل، أخبرتني أن سجود رأتك في رؤيا وربما كابوس إنك تنزل في بركة وحل، ومن ثم تتحول و تركض وراء شخص وتفترسه ولقد رأتك تنفجر بعد ذلك، كان حلمًا مخيفًا يا أخي، وأنت تعلم أنها تقدس الرؤيا وتعتبرها إشارات من الله، ولذلك لقد أرسلت لك دبلتك معي وأخبرتني أن كل شيء بينكم انتهى، أرجو ألا تحزن. وانتهى كلامها على هذا الحديث، كيف لا أحزن أنا أتقطع هنا، هل هناك من مزيد، هل خطأ واحد لا يغتفر؟ لم أفعل سوى خطأ واحد وحسب وها

أنا أندم عليه بقية حياتي. اللعنة أدفع ثمن خطأ واحد، أدفعه أضعاف مضاعفة.

يا ليت الأمور تكون بالرؤيا نري رؤية سيئة فلا نفعل الخطأ أو رؤية تنقذنا من مصير مجهول، الرؤيا هبة لا يملكها إلا القليلون، ومن يصدق بها نادرون للغاية.

الفصل الثاني عشر
"أعراض انسحاب"

بعد مرور شهران وربما أكثر على تلك الحادثة المشؤومة

ما زالت الفتاة على حالها لم تتغير. يحضر أصدقائها ولا تتحدث معهم، يحاول الجميع أن يخرجها من هذه الدوامة ولا تستجيب، سرقة دراجة تافهة لا يسبب كل هذا الوجوم والحزن.

يحاول آدم منذ شهران الوصول لأي من هؤلاء الثلاثة الشابان والفتاة التي كانت برفقتهم. بعد بحث مضني وبلا فائدة ذهب لذلك المخفر، ربما

يجد شيئًا مهمًا يساعده في الوصول إليهم. حاول أن يأخذ كافة المعلومات، عثر على البيانات الشخصية للشابين والفتاة أيضًا. لا وجود لأي سجل أجرامي لدى الشابان، ولكن الفتاة هناك الكثير من ملفات الآداب والاتجار بالمخدرات. كانت أول ضحاياه سيمسك بها بكل سهولة، لقد قامت بخداعها، لقد أذتها وأذته هو في قلبه. هنا في ذلك القلب هناك أشواك تزرع، كانت في البداية ووردًا ببراعم صغيرة، الآن أصبحت أشواكًا حادة فحسب. لقد نزع تلك الرحمة التي كانت في قلبه أو ربما هذا ما كان يظنه.

ترك السيارة الخردة واستأجر سيارة حديثة ومغرية، كان يعلم هواسها بالأغنياء أو هذا ما توصل إليه بعد بحث طويل. في نفس الطريق الملعونة وقف بسيارته الفارهة منتظر أن تقع في الفخ. بالفعل أتت راكضة، يمكنها أن تختبي سنوات، ولكنها تظهر فقط أمام الأثرياء.

نظر لها بقرف:

- اصعدي.

بالتأكيد يبدو أميرًا ثريًا وستقوم بنتفه وربما تبيع بعض المخدرات فالأغنياء يحبون هذه الأنواع. صعدت للسيارة وأنطلق مسرعًا، توقف أمام مخفر الشرطة، فتح باب السيارة وترجل منه، وفتح الباب الخلفي وسحبها من يدها وجرها خلفه، وسط دهشة وذهول:

-سيدي أنا لم أفعل شيئًا لك، لماذا نذهب لمركز الشرطة؟

لم ينبس بطرف كلمة، فقط كان يجرها خلفه كمّا البهائم.

أدخلها في غرفة مظلمة بها ضوء خافت وقيدها في المقعد ونظر لها بحدة:

- أخبريني من الذي أعتدى على الفتاة من هذين الشابين؟ أيهما هو الملعون؟

أجابت بتعلثم:

-سيدي لا أعرف شيئًا مما تقول صدقني، لم أفعل شيئاً ... وليس لي دخل في هذا الشأن.

حاول ألا يغضب وتنفس الصعداء وصرخ بصوت عالٍ:

-سيد أحضر الكلاب الجائعة، ولكني لا أعرف هل ستأكلها أم ستقيئ عندما تراها؟

أتت الكلاب والتي كان منظرها كالأسود أو أشد ضراوة، لقد أشتعل الخوف في قلبها. هي لا تريد الموت، على الأقل ليس الآن. كان سهلًا عليه أن يجعلها تعترف وبكل سهولة، لم يفرج عنها بالتأكيد كيف يجعلها تفلت من العقاب، لقد أصطادها ولن يتركها. ستخرج بعد أن تقضي مدتها، في النهاية ليس هناك ما يثبت أنها السبب. الغضب لم يعد يليق به، أنه غاضب دائمًا.

أقتحم منزل هذا الشاب، ليس لديه أذن بذلك فالقضية ليست مسجلة في السجلات، ما يفعله هو جريمة بالطبع. هل يهتم إن كانت جريمة أم لا؟ كان هناك شاب جالس أمام التلفاز ولكنه أنتفض عندما رأى ثلاث أفراد من الشرطة يزلفون إلى شقته بل ويحطمون الباب عليه، بالطبع جميع من في العمارة سمعوا هذا الجلبة ولكن لم يستطع أي منهم التدخل. فالجميع هنا في حاله، لا يوجد هناك انتماء لأي أحد. فقط سجود عندما سمعت بالأمر حاولت أن تأتي مسرعة ولكن بيتها بعيد عن هنا. مهما كان قد حدث بينها وبين من كان خطيبها ولكنها ستأتي لصديقتها وليس

له. كان يجب أن يهرب ولكنه ظلّ جامدًا، أمسكه الرجلان الآخران لكي لا يهرب بالطبع وقيداه بالأصفاد. أنهلّ عليه باللكمات والضرب، كان غاضبًا جدًا لم يتملك نفسه، كان يريد أن يقتله. وكان السؤال الوحيد الموجه له:

-هل قمت بالاعتداء على هذه الفتاة، يمكنك الإنكار إن شئت ولكن الفتاة الأخرى اعترفت عليك، الإنكار لن يفيدك بشيء، بل سيجعلني استخدم أسلوبًا قذرًا لا أريده.

ابتلع الشاب ريقه في صعوبة بالغة وهذا غير الألم الذي يشعر به و الذي يعانيه من أثر اللكمات، كانت الكلمات تخرج متقطعة:

-سيدي لم أفعل هذا .. لم أفعل ...

عندما كان يَهّم بضربه مجددًا، سمع صوتًا بالداخل، وذهب ليعرف من صاحب الصوت؟

حاول إيقافه ذلك المقيد:

-سيدي أرجوك لا تذهب هناك .. لقد أخبرتك لم أفعل شيئاً.

ولكنه لم يأبه له ودلف إلى تلك الغرفة وأغلق الباب من الداخل . وجد فتاة تصلي ويبدو أنها تصلي سريعًا وخائفة أيضًا. يبدو أنها من أولئك الأشخاص الذين يصلون عندما يخافون، أخبرها ألا تخاف، فلتكمل صلاتها لن يعترض لها.

بعد أن انتهت، أخبرته:

-سيدي أخي لا يمكن أن يفعل ذلك، صدقني لم يؤذ في حياته نملة.

تحول من الهدوء إلى الغضب:

-لا، لقد فعل وسأثبت لك والآن.

سمع أخاها المقيد هذا الصوت الغاضب و جري مسرعًا ناحية الباب.

يطرق الباب ويكاد أن يكسره:

-سيدي أرجوك، سأفعل ما تريد فقط أترك الفتاة في حال سبيلها.

لم يأبه له اقترب منها، قام بتمزيق بعضٍ من ملابسها، كانت تصرخ وتبكي بكاءً هستيريًا تخبره أن يتركها حبًا بالله. لم يكمل ما كان يريد أن يفعل، أحضر غطاءً وقام بتغطيتها وقال في غضب:

-أعتذر لست الوحش الذي يكون عليه أخيك، لا أستطيع أذيتك.. لا يمكنني فعل ذلك بك أو بأي أحد .. كيف أفعل ذلك بفتاة عاجزة وضعيفة مثلك؟ أخيك لم يرحم ضعف تلك الفتاة وأنا لست مثله، وأعتذر مجددًا.

لم تتوقف عن البكاء لم يفعل شيئًا لها، لم يستطع، ليس لأنه لا يقدر بل لأن قلبه ليس قاسيًا لهذه الدرجة. خرج من الغرفة، وكان الشاب مرميًا على الأرض يجثو على ركبتيه:

-سيدي سأفعل أي شيء ... أي شيء تطلبه .. سأصحح ذلك الخطأ الذي اقترفته أنا أعترف.

عندما سمعت الفتاة اعتراف أخيها لم تتحمل هذه الصدمة. ودخلت في حالة متلازمة الصدمة العصبية. كيف يفعل هذا؟ لم تتوقع هذا الشيء منه. كيف يدمر حياة شخص بهذه البساطة، لم تكن تصدق أن هذا يحدث أو أن هذا حدث بالفعل. لقد أتفق آدم مع هذا الشاب سيزوجه للفتاة وهو سيتزوج أخته، صفقة متبادلة بدون خسائر. ولكنه كان الخاسر الوحيد

هو. لقد خسر حبه، يبدو أن الحب لم يكن كافيًا. قلبه ليس كبيرًا بما يكفي ليتحمل أن أحدًا غيره مس فتاته قبله. هذه الأمور تحتاج شجاعة كبيرة وقلبًا كبيرًا لا يملكه البعض، وربما لا تحدث إلا في الروايات الخيالية وحسب وإنما واقعيًا لا تحدث مطلقًا. وإلا فلماذا تقدم مئات بل الآلاف الفتيات بالانتحار بعد الاعتداء عليهن؟ لقد فقدوا الأمل في الحياة وأيضًا نظرة المجتمع لهم على أنهم جناه وليسوا ضحايا.

الفصل الثالث عشر

"تراكض الأحداث وكارثة"

لم تتحدث الفتاة مع أخيها الذي كان كل همه سؤالها، هل أخطئ معها ذلك الشاب؟ لم تكن تجيب كانت صامتة فحسب، كان هذا الصمت يقتله ويعذبه، لم يكن يريد لأخته أن تلقى نفس مصير الفتاة. بالطبع لم يكن يريد، ولا أحد يريد ذلك.

كانت سجود تأتي لتطمّئن عليها، ولا تتحدث معها أيضًا. لقد تأذت من أخيها. هذا الصمت هو سببه، لقد انهارت ثقتها به. لقد انتهى بالنسبة لها، لقد كان بريئًا جدًا. فكيف تحول لشيطان هكذا؟ كيف يؤذ شخصًا ما بكل بساطة؟ لقد فهمت الآن لمّا كان يبكي بهستيرية، لمّا كان يتوسل؟ لمّا كان مصرًا ولحلوحًا هل يغفر الله كل الذنوب؟ يغفرها جميعًا يا أخي ولكنه لا يغفر الظلم لأحد. ستلتقي الخصوم يوم القيامة وترد المظالم، هل ستستطيع يومها أن ترد مظالم هذه الفتاة؟ هل ستسامحك من الأساس؟

* **

الأحداث تركض ركضًا أراد آدم أن يكون حفل زفاف بدون خطبة ولا أي ترتيبات، كان سيعد كل هذه الترتيبات السخيفة لو كانت هي عروسه وحسب، ولكنه الآن لا يأبه للأمر برمته.

تحدث إلى خالته وابن خالته أن هناك شابًا يريد الزواج من سيرين والشاب يريد أن يتزوج منها سريعًا. علّت الدهشة و وجههم ظنوا أنه يمزح، كان من المفترض أن يتزوجها، لا أن يزوجها لشخص غيره، لم يستوعبوا ما يحدث، ولكنه أخبرهم أنها موافقة على هذا الشاب بالتحديد. ذهب أمام غرفتها و طرق الباب عدة طرقات، فتحت باب الغرفة وأخبرته بخوف:

- آدم ساعدني، أنا في ورطة حقيقة.

أجاب بجمود:

-لا تقلقي، لقد عثرت على الشاب وسوف يتزوجك، وقد حلت المشكلة، هل تريدين شيئًا آخر سيدتي؟

نظرت له بخوف:

-أنتَ لست آدم الذي أعرفه، لا أستطيع أن أتزوج ذلك الوحش، هل تريد قتلي ودفني وأنا ما زلت ألفظ أنفاسي؟

- بل ستتزوجينه، ليس هناك مهرب من هذا، ولا تقلقي لن يقترب منك مجددًا. يمكنك أن تتطلقي بعد بضعة شهور، لا يهم.

نظرت له بصدمة:

-لا يهم، أصبحت لا أهم. حسنًا، أنا حامل وأريد إجهاض ذلك الطفل اللعين.

آدم بجمود:

- كيف حدث ذلك؟ لا يمكنك قتل هذا الطفل لن أسمح لك بذلك، إنه طفلك يا غبية، لن أشارك في جريمتك.

نظرت له ببؤس وانكسار:

-لقد شاركت بالفعل يا آدم أولًا لم تدعني أقدم بلاغًا، ثانيًا تريد أن تزوجني من هذا الوحش، ماذا بعد يا آدم؟ ماذا تريد بعد ذلك؟ ليتك كنت قتلتني ذلك اليوم وأفرغت مسدسك اللعين داخل رأسي. أنا لا أريد ذلك الطفل، يجب أن يموت، لا أريده أن يخلق من الأصل.

- لقد تكون من الأصل، ماذا ستكونين قاتلة؟ لا يمكنك قتل ما خلقه الله في رحمك، أنتِ لست قاتلة.

بكت وتوسلت وركعت:

-آدم أرجوك لا تزوجني لذلك الشخص، لا أريد أرجوك. أتوسل إليك، ماذا أفعل أيضًا هل تريدني أن أسجد لك، لكي لا تفعل هذا بي.

نظر لها بشفقة وهي غارقة في دموعها ورفعها من أرضية الغرفة وأجلسها على الكرسي المجاور له وحاول أن يجعلها تهدأ:

-حاشا لله لا سمح الله نحن لا نسجد إلا لله، ما هذا الكلام الفارغ، اسمعي أنتِ عاقلة يجب أن يكون هناك أب لابنك ولا تفكري في قتله، لا تفكري بعاطفتك الآن فكري بعملية وبالمجتمع الذي تعيشين فيه.

سألت برجاء:

- حسنًا، لمَ لا تتزوجني أنت؟ سأفكر بمنطقية بعد أن أسمع جوابك.

تذكر الاتفاق الذي عقده بينه وبين ذلك الشاب وتنهد وقال:

-لن أنظف قاذورات غيري، لقد فعلت ما يجب فعله وهذا الطفل يجب أن يكتب بِاسم أبيه وليس باسمي.

نهضت بقوة لم تعهدها من قبل:

-حسنًا. يا سيد آدم أنا موافقة، على ما تريد سأتزوج من ذلك الشاب، ولكن لا تريني وجهك ما دمت حيًا، لا أريد رؤية وجهك مرة أخرى، ولا تخطو قداماك منزلنا.

خرج وهو يحمل كل هذه الأثقال التي أصبحت مضاعفة. الآن هي حامل بطفل كان يتمنى أن يكون طفله. يا لها من مأساة. هل يمكن أن يسوء الأمر أكثر؟ يسلم حب حياته لرجل غيره. لم تعد حق له، لقد انتهى .

سمع هذا الحديث أخاها الذي لم يصدق في البداية، ذهب إلى منزل آدم ليعرف الحقيقة، ولكن ما صدمه أنه أخبره بالذي حدث، وأن الأمر لم يكن حادثًا بالمرة.

بكل إشفاق سأل:

-لماذا لم تخبرنا يا رجل؟ لماذا تحمل في قلبك كل هذا الألم؟ لم يكن ذنبها، لماذا تريدها أن تعاني، أن تتزوج الضحية من المعتدي هذا ليس حلًا، أن تصبح مسؤولًا عن الجريمة بشكل ما، هذا ليس عادلًا.

تنهد آدم:

- لم أستطع، هل أخبر أمك؟ لن تتحمل الأمر وربما تموت، هذه المسائل حساسة جدًا لن يتحملها أحد، نظرة المجتمع لن يتحملها أحد، ستظلّ منبوذة في أعين الجميع، الذي كان يحترمها ستفقد احترامه وربما يعاملها باحتقار وتدني.

- كان يمكن أن تتزوجها، فأنت تحبها. لمَ ستتخلى عنها بهذه السهولة؟

- لم أتخلي، ولكن توقف عن قراءة الروايات الخائسة، العالم ليس ورديًا وقلبي ليس كبيرًا وشجاعًا، حبي لها لم يكن كافيًا. أحبها يا رجل لدرجة أني كلّما رأيت الألم في عينها يصيب قلبي سهامًا. أراها تتألم فأتألم أنا، أتعلم إذا قطفت زهرة بدونها .. ستصبح شوكة في يدي وإذا كنت شوكة فستصبح معها ورد وياسمين. أحبها بشدة ولكني لم أستطع، لقد رأيت ألمها وبكائها لم أستطع، وأعلم جيدًا أنها لن تسامحني ما حييت. أنا أيضًا

قدمت تضحية لأجلها، فأنا سأتزوج من أخت ذلك الشاب، لتكون الصفقة عادلة. ولكنها صفقة ظالمة ولو تعلم يا صديقي صفقة ظالمة. لقد ظلمنا وبشدة. لم أكن أريد هذه الأحداث ولا هذه النهاية.

كان هناك صمت بين هذين الاثنين، لم يتحدث أحد كان هناك صمت عميق وخانق. ليس هناك وقت للحديث. سيرتبون لكل شيء سريعًا، لقد انتهى الأمر.

عائلة آدم لم تكن تريد هذه الفتاة، ولكنه أصر أنه لن يتزوج غيرها، كانوا يريدون الطبيبة سيرين وحسب، كانت عائلته تحبها جدًا، يبدو أنّ ما تحبه العائلة لن يكون من نصيبك. حتى وإن رفضوا كان سيتزوجها بعيدًا عنهم، فالنهاية هو يعمل ولن تشكل موافقتهم أو رفضهم. فرقًا سوى حضورهم. كان يريد إنقاذها من المجتمع، حتى لو دفنها حية لا يهم. ربما وجهة نظره صادقة وربما لا.

الفصل الرابع عشر

"سعادة للبعض وبؤس للبعض"

قد تبدو الأجواء سعيدة ومبهجة، ولكن لا أحد تبدو عليه السعادة. لقد عرف أصدقائها بالأمر متأخر جدًا، لقد كان هناك اعتراض كبير منهم. روميساء لم ترد الحضور وأتهمت آدم إنه أناني ولا يهمه سوى نفسه، ويفعل جرمًا عظيمًا وسيحاسب حسابًا عسيرًا وقامت بلعنه أيضًا وأنها ستقدم بلاغًا ضده، كيف يكون متخلفًا بهذا الشأن؟ أ لم يكن متحضرًا ويبدو عاديًا؟ يبدو أن لا أحد يبدو متحضرًا كفاية. لقد أتهمته بالزندقة لم يفهم معناها ولكنها تبدو إهانة، لقد ضحك من إهانتها له، تبدو إهانات روميساء مضحكة و "دقة قديمة". داليا كانت ردودها قاسية بعض الشيء، لقد قامت بضربه و سبهَ وربما بكت أيضًا، لم تكن تريد هذه النهاية لهم. كانت ترى الحب في عيونهم، والآن أصبحت عيونهم متحجرة. العيون تتحجر أيضًا من كثرة إرهاق القلب وإيلامه. كانت تريد النهاية السعيدة لهم. وقد نسيت أنّ ليس كل النهايات سعيدة. والنهايات السعيدة هي بدايات وحسب.

بالرغم أن الأجواء سعيدة إلا أنه لن تجد من يشعر بالبهجة. الجميع في وجوم، صديقات العروس يساعدنا صديقاتهم.

سيرين ارتدت فستان أسود قديم، لم يكن يهم التزين في شيء في النهاية ستذهب إلى قبرها الليلة أو ستقتل ذلك الوغد.

حاولت داليا التخفيف من حدة الأمور ولكن الأمر لم ينجح، لقد لكزتها روميساء في كتفها للتوقف عن الترهات، الوقت ليس مناسبًا.

سعادة زينتها صديقتها الوحيدة سجود، لقد كانت جميلة جدًا ولكنها لم تكن سعيدة أيضًا.

كانت تعلم الجريمة التي يحاول الجميع التستر عليها، إن الله لن يسامحهم جميعًا على ذلك.

سينتقم منهم جميعًا ولن يترك أحد، ربما لن يكون هناك انتقامًا في هذه الدنيا. ولكن انتقام الأخرة شديد للغاية ولن يتحمله أحد.

كان الزفاف يتم في قاعة واحدة ليس بخلًا لم يحضر أحد، لم يكن هناك الوقت الكافي لدعوة كل الأشخاص. كانت تنظر له بحقد، ذلك الذي لم ينظر لها أبدًا تحاشى النظر إليها.

لم يستطع أن ينظر، فهي الآن أصبحت زوجة شخص آخر. لم يعد هناك وجود لهم من الأساس الآن انتهت قصتهم للابد.

الشيء الوحيد السعيد هنا هو عثور علاء على توأم روحه، لم يكن الوقت مناسبًا ولكن ليس هناك وقت مناسب للوقوع في الحب.

الحب يخلق وسط الألم، الحروب، المجاعات، المعاناة. دائمًا يخلق بشيءٍ من المأساة. كيف تعرف عليها؟ ربما لأنها كانت تدير حفل الزفاف الكئيب هذا.

عندما راها عرف أنها ستكون زوجته، لم يركض خلفها مثلما يفعل البعض.

لقد جعل أمه من تفعل ذلك، هدف لعلاء لا شيء لباقي الشباب. أخبر أمه إنه يريد خطبة هذه الفتاة، هي من يريد. لقد كان إلحاحه غريبًا كأنه أصابه المس من نوع ما. لقد رضخت لرغبته، ها هي فقد أطمأنت على ابنتها والآن ابنها أيضًا، لقد أرتاح قلبها الآن.

كان الزفاف لعينًا وصامتًا، ذهب كل منهم مع زوجه إلى بيته. في ليلة الزفاف كل شخص عاشها بطريقة مختلفة.

نبدأ مع آدم.

دلف إلى بيت الزوجية هو وزوجته، أدخلها إلى غرفتهم الخاصة، جلس بجوارها وأخبرها بحنوٍ:

-اسمعي لن أجبرك على شيء، وإن كنتِ لا تريدين هذا الشيء لن أفعل، إن أردت يمكننا أن نكون أصدقاء مثلًا.

أنتظر منها ردًا ولكنها لم تتحدث مطلقًا، ثم أضاف:

- لم أفعل هذا سابقًا بدون إرادة منك ولن أفعله مجددًا حتى وإن أصبحت زوجتي، أنا لست وغدًا لأجبرك على شيء، إن أردت يمكنني النوم خارجًا. إذا كان هذا يجعل قلبك مطمئنًا سأفعله، وأيضًا يمكنك مصارحتي بأي شيء، لا تظلّي صامتة هكذا أشعر إني من تسبب في هذه الحالة لك. حسنًا. سأغادر، وداعًا.

همَّ بالمغادرة ولكنها انهارت بالبكاء وتحدثت بهستيرية:

- لم تكن أنت .. أنت لم تفعل شيئًا سيئًا .. لقد أصبحت في هذه الحالة عندما علمت أن أخي فعل هذه الفعلة الشنيعة لم أتوقع هذا سيدي، لم يكن هكذا، لم يؤذ أحدًا مطلقًا.

جلس بجوارها يكفكف دموعها ويحنوِ عليها:

- لا تبكي حسنًا. ليس ذنبك، لقد كان ذنبه هو، لم يكن خطئك، لا داعي لتشعري بالسوء، لا أستطيع رؤية أحدهم يبكي، انظري أنتِ ربما تكونين جائعة سأذهب لأحضر شيئًا تتناولينه، ريثما تبدلين ثيابك.

لقد خافت وانكمشت في ذاتها وتكورت، لقد فهم ذلك، ولكنه أضاف:

-أخبرك من الآن ومجددًا لن أفعل شيئًا يزعجك، أنتِ وصية الله ومن بعده وصية رسوله، لا يمكنني أن أجرحك أو أؤذيك.

تركها وذهب ليحضر شيئًا للعشاء، لم يكن جائعًا، نفسه كانت فارغة ولكن هذا ليس معناه الجوع. بالنسبة لها لقد اطمأنت له، كان شخصًا عطوفًا وبريئًا جدًا، ليس كمَّا رأت غضبه من قبل، حتى عندما كان غاضبًا لم يحاول أذيتها، كان هناك حدًا فاصلًا يمنعه من ذلك.

الحب ينمو في الزواج وهو تلك المودة والرحمة التي تنشأ بين الأزواج بالمعاشرة وحسن الخلق بينهم.

في الجانب الآخر سيرين:

لم ترد الذهاب مع هذا الشخص، كانت خائفة لا، بل تموت رعبًا. ولكنها ذهبت معه، لا مفر لك من الذهاب إلى القبر في النهاية.

دلفت إلى ذلك المنزل كان موحشًا وفارغًا، وحشَّة القبر ربما. تحدث معها بكل صراحة وأعتذر لها ولكنها لم تكن تستمع وتضع يداها على أذنيها، أخبرها أنه لم يكن بوعيه لم يقصد أذيتها. أخبرها بِاتفاق ابن خالتها معه، أخبرها بكل شيء. وأنه يعرف أن الطفل هو طفله وأن لا

تقلق، لن يقترب منها مجددًا. ولكن في هذا الأثناء كانت هناك طرقات على الباب، هرع ليفتح مسرعًا ليفاجئ أنها الفتاة الهزيلة سمر، وقد أحضرت المخدر الذي طلبه منها.

عندما رأتها جن جنونها:

- أيتها العاهرة لقد دمرت حياتي، سأقتلك لأخلص الناس من شرورك، ماذا فعلت بهذا الشاب لقد جعلته شخصً سيئًا وقذرًا؟

ردت بهدوءٍ:

-عزيزتي جميعنا من الداخل قذارة، لقد كان هو من البداية ذلك الوحش الذي عليه، لم أفعل شيء سوى إني أوقدت هذه الرغبة الدفينة، لا تلؤميني الجميع يفعل ذلك، الكيف يذل يا صغيرة.

تحادثت بذات النبرة الهستيرية:

-أنتِ مختلة عقليًا ومجنونة.

لقد أخذ ذلك الشاب الكيس المليء بالحبيبات الكريستالية، وقام بحرقهِ واستنشاقهِ، كان يتصرف تصرفات غريبة ومجنونة، كان ينعتها بالعاهرة، حتى إنه حاول أن يعتدي عليها مرة أخرى، ولكنها لم تسمح له هذه المرة هي بوعيها ولن ترضخ له. أحضرت سكينًا وقامت بغرسها في صدره، لم يشعر بأي بألم، كان ينزف ولكنه لم يمت، كان مغيب العقل، لم تخترق السكين قلبه. فقط كان عاملًا مباغتًا للهرب ليس إلا. لم تدري أين تذهب؟ كل الأماكن أصبحت ثقيلة. تعود للمنزل، تذهب لآدم. لم يعد من حقها. وهذا الطفل اللعين الذي ينمو في أحشاءها، كيف تكُون داخلها؟ ظلّت تمشي إلى أن تعبت أقدامها. إلى أين تذهب غير المنزل بالطبع؟ طرقت الباب كثيرًا إلى أنّ أرهقت. ظلّت قابعة ومتكورة في

زاوية ما إلى أنّ يعطف عليها سكان البيت ويفتحوا لها، لم تعد تستطيع أن تصرخ مثلما كانت تفعل سابقاً. لقد تغير كل شيء.

الفصل الخامس عشر

"البيت الآمن"

ما زالت تنتظر أمام عتبة منزلها. الجو لم يكن شتاءً كانت العطلة الصيفية فلم تكن ستصاب بالبرد. عندما حل الصباح سمعت صوت الباب يفتح. نظرت إلى أعلى، رأت أخاها من خلف هذا الباب، كان مندهشًا ربما، كان وجهه يحوي العديد من علامات الاستفهام والتعجب أيضًا ولكنها لم تكن كثيرة. كان يعلم أنها ستعود ولكن ليس بهذه السرعة.

- كيف جئت إلى هنا؟ يفترض أنك في بيت زوجك الذي أخترته.

جرت الدموع من عينيها أنهاراً:

-لم أختر .. لم أختر شيئًا يا أخي، أنتَ لا تعلم الحقيقة.

رد، وعلامات الندم الظاهرة عليه:

- أعتذر ولكني كنت أعلم.

قامت بضربه على صدره وبكت:

- كيف كنت تعلم وشاركت في هذه الجريمة؟ هل أنت أخاه أم أخي؟ تبًا لكم الجميع، اللعنة عليك وعليه وعلى ذلك الوغد الآخر وعلى ذلك الطفل اللعين.

أدخلها للمنزل وأغلق الباب:

-أنا أخوك أنتِ، وثقت بك كثيرًا، وأنتِ ماذا فعلتِ؟ حذرك الجميع من هذه الفتاة؟ والجميع يعني الجميع. هل أنصتِ لحديثنا؟ هل اعتبرت كلامنا مهمًا من الأساس؟ لا لم تفعلي، ماذا نفعل إذًا؟ هيا أخبريني، أم إنك فقط من تطرحين الأسئلة ونحن فقط من نعطي الأجوبة؟ أخبريني هيا.

ما زالت تبكي وتأن:

-لم يكن ذنبي يا أخي، لم يكن ذنبي، لن أعود لذلك المنزل، لن أعود لذلك الرجل ما حييت. أرجوك لا تجبرني مثلما فعل آدم، لا تفعل مثله لا تحطمني مجددًا، أنا بالفعل محطمة.

أخذها بين ذراعيه وربت عليها بحنوٍ:

-فتاة غبية، هذا بيتك أيضًا، لقد أجبرتك مرة لأجل المجتمع .الآن لن أفعل، سيظلّ هذا البيت بيتك. سنجد حلًا مع أمك لا تقلقي، فقط دعيني أتكلم ولا تتحدثي في هذا الأمر حاولي التحدث بطريقة طبيعية وأيضًا حاولي العيش كذلك، لا تهملي دراستك أتفقنا كوني قوية، ستكونين جراحة عظيمة في المستقبل، أنا أدعمك وسأظلّ أفعل.

تركتهُ ودلفت إلى غرفتها. كيف يواجه أمه بالأمر؟ الأمر معقد للغاية، والأكثر تعقيدًا أن أخته يمكن أن تلد في السادس، لا ستتم الشهور كلها ولكن السادس هو الوقت الأصلي للزواج هذا أكثر ما يفكر به، أو ربما السابع إن تأخرت كثيرًا، يحدث أن تلد بعض النساء بعد أحدى عشر شهرًا تحدث أيضًا. ما هذه الورطة؟ كيف يصارح والدته، ستعلم في النهاية. لقد أخبرها بالأمر، هل سيبقي الأمر سرًا للأبد؟ كانت في البداية

ردة فعلها صادمة أرادت أن تعود لزوجها، ففي النهاية لقد صحح خطئه وتزوجها. ولكن بعد أن هدأت رقت لحال طفلتها. يبدو أن صغيرتها كتب عليها أن تعيش معاناتها. أن تربي طفلًا وحدها هو عمل شاق للغاية، هي تعرف هذا لأنها مرت به.

كانت شهورها الأولي متعبة ومرهقة لم تميز بينها وبين مراحل الانسحاب من عملية الاعتداء، كانت تقئ وتشعر بالغثيان أغلب الوقت. شهيتها لم تكن بخير. حالات الاغماء كانت لا تعد. الأرق. الرغبة في البعد عن التجمعات. النوم كثيرًا. الاكتئاب الحاد والتفكير جديًا في الموت وأنهاء حياتها.

كانت تلعن هذا الطفل كثيرًا عندما عرفت بأمره لأول مرة، كانت لا تريده، لا تريد لأي شيء أن يربطها بذلك الحقير. الآن هذا الطفل يكبر شيئًا فشيئًا، لم تكن تريده ولكنها الآن لم تعد تكرهه.

ليس ذنبها ولا ذنب هذا الطفل المسكين، الذي ستضطر أن تكذب بشأن أباه وتخبره أنه توفى. لم يتوفى فعليًا ولكنها ستربي طفلها بمفردها، لا تريد لطفلها أن يتلوث في بيئة أبيه. لم تكن بيئة ملوثة ولكنها أصبحت كذلك، لقد تركته أخته وتخلي عنه الجميع، أصبح قوادًا لتلك العاهرة، لم يجد من ينتشله مما هو فيه، فغرق أكثر في الحضيض. أصبح هو من يحضر لها العملاء الذين يريدون تجربة المخدرات بالطبع. فهي لم تعد تصلح لتكون عاهرة لقد عفى عنها الزمن منذ زمن. لقد مات ضميره. وبدون الضمير، كل شيء يهترئ.

كانت في المشفى عندما جاءت إليها الطبيبة المختصة ورئيسة قسم الجراحة د. إلهام أخبرتها أنها فازت بمنحة السنة الأخيرة وتستطيع أن

تدرس خارجًا، لقد تلقت عروضًا من الجامعات العالمية والمشهورة في العالم. لقد شكرت الطبيبة إلهام جدًا. ولكنها أخبرتها أنها لن تستطيع ربما تلد في أي لحظة، كيف ستسافر مع طفلها؟ وحدها في بلد أجنبي، ربما لن تستطيع. ولكن الطبيبة إلهام كانت مصرة على أن تقبل هذه العروض، فهي طبيبة مجتهدة وتري فيها الأمل، أخبرتها إلا تفلت هذه الفرصة من يدها ربما لن تحظي بها مرة أخرى. ماذا تفعل الآن؟ القبول والرفض سيحدد أشياء كثيرة في حياتها، حسنًا ستقبل. هذه فرصة ذهبية لن ترفضها بالطبع. الطفل ستهتم به، ستعرف كيف تهتم به بالتأكيد.

لم تكن الأمور ميسرة في بداية الأمر، ولكنها تجاوزت كل هذه الأمور.

آدم حياته تسير بشكل جيد، يترقى في وظيفته، يحضر للبيت، يجده معطرًا ويفوح بأطيب الروائح. يجد الأولاد الصغار يحفظون القرآن، لم يمنعها من عملها بالطبع إن كان هذا ما تريده لن يمنعها. تخبره أنها لا تتقاضي أجرًا لقائه فهذا ليس عملًا، ولكنه يخبرها ستتقاضين أجرك في الأخرة أضعاف هذا الأجر، ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ حياتهم سعيدة ومثالية، لم يكن ينقصها سوى طفل لينير حياتهم. تنشغل مع أطفال الآخرين، لتشبع هذا الشعور داخلها. لم تتحدث معه، ولا أخبرته بمشاعرها ولا أنها تفتقد الأمومة. الوقت مبكرًا جدًا لم يمضي الوقت بعد. لقد مرت سنتين على زواجهم وحسب. ربما ليس هذا هو الوقت المناسب. لقد ذهبوا للعديد من الأطباء ولكن لم تكن هناك مشكلة من الطرفين. أخبروهم أن هذه الأمور تحدث أحيانًا، مازال العمر أمامهم.

الفصل السادس عشر

"سفر"

كانت هناك أحداث لم تحك معاناة سيرين مع طفلها أو مع منّ سافرت. حسناً كان أمرًا صعبًا قليلًا ولكن الطبيبة إلهام بذاتها سافرت معها، لقد أهتمت بها وبطفلها أيضًا. كانت أمًا لها وللطفل، كانت تساعدها في كثير من الأشياء التي تجهلها. ساعدتها في الدراسة أيضًا. يرسل الله الملائكة في هيئة بشر أحيانًا. كانت تحقق حلمها وتعتني بطفلها، لقد اسمت الطفل آدم. وكانت أول كلمة يقولها هي ماما، عندما سمعت هذه الكلمة لأول مرة طار قلبها فرحًا. كيف كانت غبية؟ وكانت تريد قتله في البداية. لو فعلت ذلك ربما لا ندمت أشد الندم طوال حياتها. النساء وعاطفتهن وأمومتهن يا لها من عاطفة غريبة.

روميساء أيضًا تزوجت من طبيب كان زميل لها. لقد تفاجأت كلّيًا بالأمر، أرسلت لها الصور بالبريد الالكتروني. لقد أخبرتها ما حدث

بأدق التفاصيل، بأنها كانت في غرفة الأساتذة في الجامعة، وهذا الشخص راها بالصدفة، وطلب منها مقابلة أبيها وأمها. لم تصدق بداية الأمر، كانت تظن إنه يمزح أو إنه من الشباب اللعوب والحقير. ولكنه لم يكن كذلك، لقد تقدم لها بالفعل. لم تكن خطبة كبيرة، كانت خطبة عائلية. وأيضًا كان شابًا ملتزمًا كما أرادت بالضبط. كانت تتمنى أن تلتحق بالمنحة ولكن لقد حصلت على زوجها بالمقابل.

يبدو يا عزيزتي إننا لا نحصل على كل شيء ولا نخسر كل شيء أيضًا. هناك المعادلة المتوازنة من كل شيء. إن أردتَ شيئًا ستخسر شيئًا مقابله بالتأكيد. ولكن هناك أشخاص خسروا كل شيء حتى لو كان الكسب بسيطًا. أخي أرسل ليّ صور زوجته وابنته.

زوجته سالي أنها جميلة جدًا وهي الزوجة المثالية. يتشاجرا كثيرًا. شجاراهم تافه ومضحك للغاية. يبدوان مثل أطفال بعمر العاشرة، أعتقد أن عقل طفلي الذي عمره سبع سنوات، عقله أكبر من عقلهم الصغير. "الطيور على أشكالها تقع " تلك المقولة مناسبة جدًا لهم. أطفال صغار، كيف صغر معها هكذا؟ أقصد كيف جعلته مازال شابًا إلى الآن؟ فأنا أصبحت عجوزًا سريعًا، حتى أنّ هناك بعض الخصلات البيضاء التي تنمو وأنا أقوم بقطعها سريعًا. لم أكبر بعد عمري ثلاثة وثلاثون عامًا. لم يمضي العمر بعد. ولكني أصبحت عجوزًا في هذا العمر، ربما هي عوامل الحياة الفسيولوجية. العمر الافتراضي للإنسان لا أعلم ربما.

أستمع لداليدا عندما يغمرني الحنين للوطن، أحب أغنيتها حلوة يا بلدي بالرغم أني أبكي في كل مرة أستمع لها:

"كلمة حلوة و كلمتين حلوة يا بلدي

غنوة حلوة و غنوتين حلوة يا بلدي

أملي دايما كان يا بلدي أني أرجعلك يا بلدي

وأفضل دايما جنبك علي طول"

"قول يا حبيبي إنت سايبني ورايح فين

أجمل لحن ده هنغنيه إحنا الإتنين

يامحلى كلمة بلدي فغنوة بين سطرين

يا ليل يا عين"

تحدث معي آدم بعد سنوات لقد رزق بفتاة اسمها سيرين على اسمي. لقد نضجت حقًا ونسيت الخلاف الذي كان بينا. مع الوقت الخلافات تتبدد وتتلاشي. مع الوقت كل الجروح وإن كانت غائرة ستشفي. ذلك الأحمق أخبرني أن ابنته ستتزوج من ابني ليكملوا قصة الحب التي لم تكمل. هذا العجوز الأحمق الحالم، لن أزوج ابني الغالي وفلذه كبدي من ابنته مهما حصل. لقد أصبحت حما شريرة ومنذ الآن. " الحما حما لو كانت ملكة نزلة من السماء " أمزح نحن لا نعرف من سيكون من نصيب أبناءنا بعد، ربما يكبرون وقلوبهم تخفق لأناس آخرين.

الفصل السابع عشر

"العمر يجري"

بعد أحادي عشر سنة من بعد الحادثة

طفلي الآن في العشرة من العمر يسأل عن أباه، أخبره إنه توفي عندما كان صغيرًا. يؤرقني بكثير من الأسئلة، السيدة إلهام غير موجودة عادت للوطن، هي فقط كانت معي عندما كان صغيرًا جدًا. وتركتني عندما كبر قليلًا واستطعت أن أعتني به بمفردي، أصبح طفلًا مزعجًا ويريد أباه، من أين أحضر ذلك اللعين القذر؟ لا أعلم إن كان توفي أم أحترق في جهنم حتى. أخبرته الآلاف المرات لماذا يسأل هذا السؤال؟ ولا يرد عليّ فقط يصمت. لقد طفح الكيل من هذا الطفل، هل أقتله الآن وأتخلص من زنه؟ لقد سألت مجددًا بالحب والمودة، لماذا يا صغيري تريد معرفة أباك؟ وأنا من داخلي العنه والعن أباه. لقد أثار جنوني. أخيرًا تكرم وعطف على أمه المسكينة، وكان الجواب بسيطًا جدًا، لأن يوم الأب اقترب وجميع الأولاد سيحضرون أباءهم وماذا يقول لهم؟ لقد أنتقل

لمدرسة جديدة هذا العام. كل هذا الصداع والأرق لأجل يوم الأب، لماذا يحتفلون بيوم الأب من الأساس؟ حسنًا عادات الغرب وتقاليدهم السيئة، لعنة الله عليهم .. هؤلاء الحثالة. أنا أعمل لديهم وهم مصدر رزقي ولكنهم سيظلّون حثالة في نظري مهما حدث.

ذهبتُ للمدرسة اللعينة، ويوم الأب الذي كان حضور الأمهات أكثر من الأباء بكثير، تعرفت على كثير من السيدات هناك. أخبرتهم القطعة التي أحفظها وأقولها في كل مناسبة، والده توفي لأنه كان شرطيًا يدافّع عن وطنه من الإرهابين، بمزيد من البكاء والتعاطف، الجميع بكى بالطبع. يتأثرون بالطبع بهذا الفداء. هل كنت سأقول لهم أبيه مدمن مخدرات قذر ولعين، تركته. لم أفعل هذا لأجلهم بل لأجل صغيري، أردته أن ينشأ نشأةً سليمة. أردت أن يفتخر بأبيه، حتى وإن كان فخرًا كاذبًا.

تحدث ذلك الملعون إلى عمته سعادة دون أن أدري. وسائل التواصل تطورت كثيرًا حتى بات هذا الفتى الصغير يستخدمها. بالطبع علمت بالأمر لقد تحدثت معي وعلمت ما قاله وما فعله و احمد الله كثيرًا أنها لم تكذبني، بل أكدت على كلامي وصدقت عليه.

سألها:

-عمتي سعادة هل أبي حقًا ميت، أم أن أمي تكذب عليّ؟

أجابت:

-والدتك لا تكذب أبدًا يا صغيري هي محقة في كل ما تقول.

بفضول جمَّ:

-حسنًا . هل كان أبي شرطيًا وضحى بحياته فداء للوطن؟

أجابت بحنوٍ:

- إذا كانت والدتك من قالت ذلك فهي محقة أيضًا، والدتك صادقة.

لقد أخبرتني أن أكف عن الكذب على الصغير، سيعلم الحقيقة يومًا ما. ولكني لم أهتم، لن أجعله يعلم الحقيقة ما دمت حية، ربما عندما أموت أخبره بالحقيقة.

يوم الجمعة هناك الطقوس المعتادة. القرآن يصدح في أرجاء الشقة، البخور يملأ الشقة. ما زلت أمتلك العادات العربية لم أتخلي عنها ولن أفعل. أمي تشتاق لهذا اللعين الصغير. تريد أن تراه قبل أن تموت، دائما تخبرني:

-أريد حفيدي لم أشبع منه، لم أره منذ سنوات، ألا يوجد لديك قلب.

أخبرها بكل بساطة لا، لا يوجد لدي قلب يا أمي العزيزة. ولكني لا أستطيع أن أرى دموعها أو عجزها. فأقوم بالحجز على أول رحلة ونذهب للبلاد، أشتاق لهواء بلادي، هواء ملوث ولكني أحبه. أبقي بالخارج لأن طفلي مستقبله هناك، سيصبح طبيبًا أو عالمًا، لا أدري فقط أريده أن يكون أفضل مني. فهو يستحق الأفضل. يمكننا أن نفترس أسدًا لأجل أبناءنا، لا تراهن على ضعفنا.

الفصل الثامن عشر

"أسئلة لا بد من إجابتها"

يومًا ما سألني عن فلسطين، أخبرته من أين سمعت هذا الاسم.

أخبرني أن طفلان تشاجرا مع طفل فلسطيني مهمش، وأخبراه إنه لأجيء وبلا أرض.

نظرت باهتمام:

-وأنت ماذا فعلت؟

أجاب ببراءة لم أعهدها من قبل، فأنا أعرف أن هذه البراءة يقبع خلفها مصيبة ضخمة جدًا، ولست أبالغ جدًا، ضخمة:

- لقد هشمت رأس الطفلين والمدير يريدك غدًا.

عظيم ها قد جاءت المشاكل والمصائب.

سألني بفضولٍ:

- هل ما فعلته خطأ؟ هل حقًا ذلك الفلسطيني بدون أرض؟

أجبت:

-لا يا بني لم تفعل شيء ولكن طريقتك خاطئة ما كان عليك أن تهشم رأس الطفلين، ما الفرق بيننا وبينهم الآن؟

الفلسطيني له كل الأرض يا صغيري هم الدخلاء، التاريخ يشهد والأرض تشهد أنهم المحتلون وهم اللصوص والقتلة.

أجاب ببراءة:

-لم أخطئ يا أمي لقد قالا أن لا وجود لفلسطين، هناك فقط دولة إسرائيل.

لقد فخرت بابني لا تظنوا إني أفسده. ولكني قد أخبرته:

- أحسنت يا فتى، وأنا سأهشم رأس أباءهم عندما أذهب غدًا، فهم وحدهم من يزرعون تلك الأفكار في عقول البراعم الصغيرة.

لا أفكر في العواقب هل سيطردونني؟ فليفعلوا لن أطرد من الجنة على أي حال. أخبرت صغيري عن قصة فلسطين البلد الفاتنة وفتنتها كانت سبب احتلالها، أخبرته بتاريخها وعراقتها وسر النزاع الذي عمره أكثر من مائة سنة. نبدأ من الفترة بين العشرينيات والأربعينيات، تنامى عدد اليهود القادمين إلى فلسطين، وكان العديد منهم ممن فروا من الاضطهاد

الديني الذي تعرضوا له في أوروبا، باحثين عن وطن في أعقاب ما عرف بالمحرقة "الهولوكوست" في الحرب العالمية الثانية. كما تنامى أيضًا العنف بين اليهود والعرب أو ضد الحكم البريطاني في المنطقة.
في عام 1947، صوتت الأمم المتحدة على قرار لتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، إحداهما يهودية والثانية عربية، على أن تصبح القدس مدينة دولية. وقد وافق الزعماء اليهود على هذه الخطة التي رفضها الجانب العربي. ولم يتم تطبيقها مطلقا. واحتلت إسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية فضلًا عن معظم مرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء المصرية في الحرب التالية في عام 1967.
وظل اللاجئون الفلسطينيون وأحفادهم في غزة والضفة الغربية، فضلًا عن دول الجوار أمثال الأردن وسوريا ولبنان. ولم تسمح إسرائيل لهم أو لأحفادهم بالعودة إلى بيوتهم، إذ تقول إسرائيل إن مثل هذه العودة ستؤدي إلى أن يكتسحوا البلاد وتهدد وجودها كدولة يهودية. غالبا ما تتصاعد التوترات بين إسرائيل والفلسطينيين الذين يعيشون في القدس الشرقية وغزة والضفة الغربية. وتحكم قطاع غزة، الجماعة الفلسطينية المسلحة، حركة المقاومة الفلسطينية "حماس"، التي خاضت قتالًا مع إسرائيل في مرات عديدة. وتحكم إسرائيل ومصر السيطرة على الحدود مع القطاع لمنع وصول الأسلحة إلى حركة حماس. ويقول الفلسطينيون في غزة والضفة الغربية إنهم يعانون جراء الأفعال والقيود الإسرائيلية. وتقول إسرائيل إنها تفعل ذلك لحماية نفسها من العنف الفلسطيني.
ومازال الكذب مستمرًا إلى يومنا هذا لا تصدقهم يا صغيري. وما زالت إسرائيل تحتل الضفة الغربية، وعلى الرغم من انسحابها من غزة ما زالت الأمم المتحدة تعتبر تلك البقعة من الأرض جزءًا من الأراضي

المحتلة. وتقول إسرائيل إن القدس بكاملها هي عاصمتها، بينما يقول الفلسطينيون إن القدس الشرقية هي عاصمة دولتهم الفلسطينية المستقبلية. وتعد الولايات المتحدة واحدة من حفنة من الدول التي اعترفت بمطالبة إسرائيل بمجمل مدينة القدس عاصمة لها. وقد بنت إسرائيل خلال الخمسين سنة الماضية مستوطنات في هذه الأراضي، حيث يعيش الآن أكثر من 600 ألف يهودي. ويقول الفلسطينيون أن تلك المستوطنات غير قانونية بموجب القانون الدولي وتمثل عقبات أمام عملية السلام، بيد أن إسرائيل تنفي ذلك. وهذه هي القصة التي حدثت وما زالت تحدث إلى الآن. يوجد فلسطين ولا يوجد مكان بالعالم دونها.

الفصل التاسع عشر والأخير

"حلم يتحقق بعد سنوات"

بعد مرور عشرين عاماً...

بني يبدو إني سألفظ أنفاسي قريبًا، لقد كنتُ دائمًا محاربة، حاولت محاربة المرض اللعين ولكني فشلت، إلى كم سأعيش لقد عشت كثيرًا، ستجد الرسالة بعد موتي، سأدفن هنا وسط مقابرهم، يبدو أن هذا عادلًا، الوطن ليس مقابر لنا، نبقي بعيدًا عن الوطن و وقت ما جاء ملك الموت

ليقبض أرواحنا، نهرع للوطن لندفن به، خسئنا وخسئت أنفسنا. جعلنا من الوطن مجرد مقابر، لا لن أفعل أنا أيضًا هذا، سأدفن مع هؤلاء الحثالة. لم أفني عمري في هذه البلاد اللعينة لترك مكان دفني للعين غيري. علمتك مبادئنا لا تصبح مثلهم، نموت ويحيا الوطن. فلسطين من الوطن وستظل من الوطن، كل البلاد العربية بها فلسطين، مهما حدث لا تنسى ولا تصالح يا فتي. لا تنسى إن نسيت سأفني أنا أيضًا.

أتمنى أن يأتي وقت وتتحرر ربما على يدك أو على يداي أبناءك، علمهم عن فلسطين لا تنسوها. أخبرهم أنَّ لم يبع أحد الوطن، لقد سرقت منهم. وتاريخهم في السرقة معروف لقد سرقوا الماسة الكوهينور من قبل. وقبلها هناك الكثير من السرقات لا تعد ولا تحصي. أخبرهم أنها حقنا، فقط حقنا. وأخيرًا أحبك يا صغيري، أ تريد أن تعرف لماذا هجرت لهذا البلد؟

هذا البلد أرادني في الوقت الذي كانت بلدي لقد أستكفت ولم ترد المزيد. لا أخبرك أن تكرهها، لا يمكنك كره أمك مهما كانت سيئة ستظلّ أمك مهما حدث ومهما حدث منها ستظلّ تحبها. والوطن هو أم، ولن نغضب من أمنا مهما كانت قاسية.

سرًا أخيرًا لا أعرف إن كان فؤادك سيتحطم أم لا؟

أباك لم يكن شرطيًا، ولا أفني حياته في سبيل الوطن. لم يكن سيئًا، ولكنه لم يكن مناسبًا لك. أردت لك حياة مختلفة، حياة تكون فيها شخصًا سويًا. لقد كان جيدًا ولكنه لم يكن جيدًا لك، لم أختره. الظروف هي من أجبرتني على ذلك. الظروف يا صغيري مزعجة وتجبرك على أشياء لا تريدها ولا تبتغيها مطلقًا. إن كان الأمر بيدي لاخترت لك أبًا تفخر به. لا تتغير

أبقى كما أنت طيبًا عطوفًا. مهشمًا لرؤوس أولئك الحثالة، تتذكر الآن وتضحك. أنا أعلم إني متناقضة ولكننا بشر يا صغيري التناقض جزءًا لا يتجزأ منا. أحبك جدًا. يمكنك العودة دائما للوطن. دائمًا مرحب بك.

مع خالص حبي أمك التي تحبك.

أغلق الرسالة والدموع ترقرق في عينيه وقال:

لقد تحقق حلمك يا أمي. تحررت القدس. أتمنى أن تكون روحك تنظر لنا، نحن نصلي في القدس. أصبحت الدول العربية واحدة.

لقد اتحدنا وكان اتحادنا سر قوتنا. الأرض أصبحت لنا. لقد هزمناهم أشر هزيمة. لا يوجد ما يسمى حدود الآن. لقد أزلنا الحدود وأصبحنا شعب واحد وكتلة واحدة، كما كنا من قبل.

ليتك هنا يا أمي.

تمت بحمد الله بتاريخ: 5/1/2024